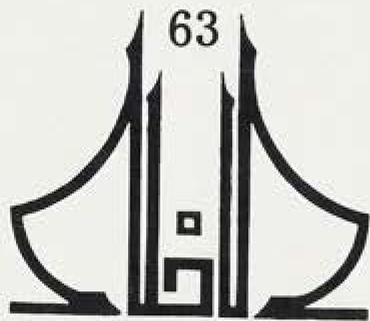


الشاذلي الساكر

الشّخصيّة

الجزء الثاني

- مقومات الشخصية
- الملكات النفسية
- الروح من الوجهة الاسلامية
- نظريات الفلسفة فى الشخصية
- الشخصية وتعديل السلوك
  - من منظور «الجشطلت»
  - من منظور الفيمنلوجيا
  - من منظور التحليل النفسى
  - من منظور السلوكية
  - من منظور الكرنوبسكلوجيا
- نظريات علم النفس فى الشخصية
- قضايا أساسية
- وغير هذه القضايا ...

كتاب البكلوريا

الشاذلي الساكر

الشخصية

(الجزء الثاني)

صورة الغلاف من اختيار المؤلف

تم الطبع بالشركة التونسية لفنون الرسم
20 نــهــج المنــجــى سليــم ـ تــونــس
تحت عدد 85/731 الايداع القانونى 85/4

الأخلاء

تأسست بمنزل تميم وتصدر مرتين فى الشهر بتونس ٠

العدد : 63 ـ السنة : 8 ـ أكتوبر 1985

مؤسسها ومديرها

الصادق شرف



العنوان : ص٠ ب٠ : 135 تونس 1015

الحساب الجارى بالبريد رقم : 10٠637 تونس



الاشتراك العادى سنويا : 20٠000 دينارا

اشتراك المؤسسات سنويا : 40٠000 دينارا

اشتراك العضو المنتج : 50٠000 دينارا



هام جدا : أولوية النشر للأعضاء المشتركين مدة عامين متتالين ٠

الانتاج لا يعبر الا عن رأي صاحبه ولا يعاد له ان لم ينشر

مقولة الأخلاء الدائمة

ليس من الصعب أن نبدأ ،

ولكن الصعب ..

أن نواصل ما بدأنا .

شخصية الانسان العربى من خـلال الكتابة العربية

بقلم : الصـادق شـرف

الرجل له شخصية (طفل كبير) ، والطفل له شخصية (رجل صغير) وظلم الكبير للكبير مر ، وأشد مرارة منـه ظلم الطفل الكبير للرجل الصغير ..

كم نظلم نحن (الأطفال الكبار) أطفالنا الصغار حين لا نعلمهم فى المدارس من القرآن سوى (نصيب الذبابة) ثم نطلب منهم مراجعة ذلك « النصيب الذبابى » فى مصاحف مكنونة كتابتها فى دهاليز تراثيـة !

أردت أن أقـول : لماذا بقيت المصاحـف بين أيـدى أطفالنا برسم « كتاتيبى » ؟ حتى الكتاتيب تغيرت بها الكتابة فلـم تعد تكتب مثلا كلمة : (الحياة = الحيـوة) ولا كلمـة : (الزكـاة = الزكوة) كما نراها فى المصاحف آتية من أكنان تراثية نجلها ونقدسها ونجعل لها حرمة .. ولا حرمة لهـا اذا كانـت مدعـاة لتقفيل أبواب السور والآيات فى وجوه أطفالنا حتى اذا دخلوها فهم فى معضلاتها يعمهون وبها القرآن هم يكسرون ..

كيف يسمح لنفسه ذلك المربى الجليل الـذى مازلنا نوفيـه التبجيل بأن يطالب أطفالنا بمراجعة قصار السور فى مصاحف هى على ما هى عليه من كتابة لها قدرة فائقة على زرع التناقض فى نعومة الارض التى يقف عليها أطفالنا فى « التعليم الاساسى » !؟

على ما هى عليه تبذر فى حقول هؤلاء الاطفال للحيرة بذورا تنبت على وجه ابنتى دوحة للغربة والاستغراب وعلى لسـانها أخطاء في النطق وتلجلجا في القراءة، فاذا هى مقبلة علي بمصحفها وهى تخوض معركة حادة مع الحروف والكلمات والكتابـة ، قد

لا تخرج منها الا مهزومة وقد ألقت برأس أتعابها على صدرى وجسد حيرتها بين يدى فى الحاح لا نظير له هاتفة بى :

ـ تعال يا ابتاه فك لى الرموز ..

واقرأ معى الحروز ..

فقد احترت بين الكتابة الشابة والكتابة العجوز !

تشرع ابنتى فى تهجى النص القرآنى فى مصحفها متلكئة كأنها تحاول فك لغز ذكرنى بما كنا نقوم به من تعجيز بعضنا البعض ـ ونحن تلاميذ فى التعليم الثانوى ـ بمقولات لغوية حفظنا بعضها صحيحا وأخطأنا فى حفظ بعضها الآخر وأبت السنتنا ان تستقيم للصحيح حين تفطنا لمعوجاتها اذ كبرنا وكنا صغارا لا نتفطن للمعوج إذا أوقعنا فيه اما النطق السريع بتلك الكلمات واما ترديدها مرات متتاليات محاولين عدم السقوط فى التلعثم أو استحواذ سلطان الزلة علينا عند النطق بها ٠ ومن تلك الكلمات اذكر بيتا من الشعر كنا نختبر به طلاقة النطق فينا برغم ما فيه من (قربلة !) وشحنة من العقد جاءت كما يلى:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

ومثل هذا البيت (المقربل) أذكر أن المؤدب الذى حفظنى القرآن كان له قولة يحاول أن يدفعنى للنطق بها فأتلكأ فينداح ضحكا كأنه ـ رحمه الله ـ فتح بعجزى أمامه بابا فى جدار المستحيل ..

ما كان مستحيلا علي يومها أن أنطق بها ـ بالرغم من أنى أعرف أن لسان الطفولة في ظل يغدر بى طويلا حين النطق بالقاف فاذا (القفة) (كفه) واذا (بنت جارنا) (بنت زارنا) ـ

لو لم يهش المؤدب بتلك القولة على لساني كما يهش الراعي على غنمـه بعصاه ، فيغتنم هشاشة لساني ويشـرع في الضحـك المحملـق في وجهي فتتصلب الكافات أعمدة واقفـة بين فكي الاسفل والاعلى من الداخل فلا استطيع أن أحرك الفكين بقولته هـذه :

« ما لكم تكاكأتم على كتكاكئكم على ذي جنة ؟ افرنقعوا ! »

[وأنا اكتبها الآن كدت ــ بين كافاتهـا وهمزاتهـا ــ أن (أكتكت) ضاحكا مني] لو لم يشرد ذهني خلف ايماءة صدرت فجأة من مغارة في ذاكرتي تأملتها فاذا هي ليلة من ليالي المطر جمعتني بزمرة من زملاء الدراسة طلب مني كبيرنا أن أكتب:

« طرقت الباب حتى كلمتني ولما كلمتني كلمتني » .

كتبتها هكذا ولم أتوان لحظة بعد كتابتها في الاقرار بغلط ما فيما كتبت .. لان ما كتبته فاقد للافادة .. ومن باب العبث أن يملي علي (كبيرنا) كلاما لا معنى له . وأمام حيرتي تلك أخذ مني القلم والورقة وكتب :

« طرقت الباب حتى كـل متني ولمـا كـل متني كلمتني »

وقال لي : اقرأ .. فقرأت بعد تأمل فتفطنت الى أن (كـل) فعل ماض [ولا نقول : فعل ماضي] وانجلى الضباب .. فاذا هي جملة مفيدة علمتني أن من يطرق الابواب يكل متنة أو ينهزم دون أن تفتح له الابواب .

ظل ذلك المضمون تنتفـخ بذوره في مشاعري لتنفلـق عن نبتة تتجذر في الاعماق وتسمق سوقها خضراء يانعة تورق منها في حقل شعري هذه الابيات :

ويقول : إن البـاب يفتـح ، فلتدقـه

ودققتـه حـتى بلغـت بـه المشقـــه

وظللـت أفقـد إصبعـا فى كـل دقـه

مـا ان تناثر اصبـع جـددت خلقـه

* * *

أعاد (كبيرنا) الي الورقة بعد أن كتب فيها بالرصاص : **(يدهر التوت)** وقال :

ــ اقرا يا ذكى !

قرأت ·· فضحك زملائى وضحك معهم كبيرنا طويلا قائلا :

ــ أى توت تعنى يا دودة الحرير ؟!

فقلت له : ــ نعم ! التوت يعيش دهورا ·· معناها !

فقال لى : ــ لا دهر ! ولا توت ! بل (يد هر التوت) !

زملائى هؤلاء هم (تلموذ) من طلبة (فرع جامع الزيتونة بمنزل تميم) كانوا يجتمعون حول كتاب يسهرون على مطالعته وكان يلذ لى أن أقتحم مجلسهم لأستمع الى أحدهم يطالع بصوت مرتفع كتاب « لقاء » لمخائيل نعيمه وأدلف أنا الى من حوله من التلاميذ الصامتين المصغين اليه .. ويلمحنى فيقطـع المطالعـة ويتوجه الى قائلا : ــ هذا صعيب على طاست مخك !

أكتم فى نفسى إجابة مع شيء مـن الالم حتى اذا جـاء دور أحدهم ليلخص فصلا من ذلك الكتاب تمت مطالعته تـردد فى سرد أحداث القصة أو نسى احدى دقائقها بادرت بالتدخل لعلي

أنجده وأقلص مــن طول تردده وأسرد الاحداث وأذكــر بعض الدقائق من القصة وحتى بعض الرقائق فتنبسط أسارير البعض ويكتظ البعض تظاهرا بالاعجاب ويهتف بى آخر :

آه .. ياذكى هيا .. هات ما عندك ! ..

يظل كتاب « لقاء » بيننا وحين يغيب عنا ينوب عنه كتاب : ماجدلين للمنفلوطى أو أوراق الورد أو السحاب الاحمر للرافعى أو عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم أو الكروان لطــه حسين الذى راق لى اكثر من غيره ومكننى الجماعة من مطالعتــه معهم بصوت مرتفع بعد أن ابرمت معهم اتفاقا جاء صدفة وعفويا قبل تلك الليلة التى مكنونى فيها من «دعاء الكروان» ..

الاتفاق كان مضمونه : (ثلث شناى أحمر ومائة غرام سكر) جئت بها من حانوت أبى (التاجر يومها) أخذتها فى غفلــة منه وقدمتها لهم كمعلوم اشتراكى فلم أطرد ليلتها مــن الجلســة الادبية ، وفى طردى حرمان لى مرير من الاستماع بما فى بطون الكتب الادبية التى تلهفنى جيدا والهفها بشراهة لا أحس بهــا عند مطالعة ما فى مكتبة أبى الذى ظل يمنحنى (معلوم الاشتراك وقد يزيد عليه مائة غرام كاكوية) فى بعض الليالى فيفرح بتلك الزيادة (جماعتى) .

استعملت هذه المرة ياء المتكلم لأنى صرت عضوا نشيطا فى «جماعة المطالعة» يأتى قبل التئام المجلس الادبى وقد يعــرض نفسه للقراءة على بطئها وتهافت لسانه نحوا وصرفا ليعــرف بذلك التهافت من صدور الجماعة رحبها وضيقها ويتمكن بذلك

من اكتشاف عديد الكتب الادبية ومقارنتها بما في خزانة أبيه من كتب صفراء في أغلبها لا يستطيع بها الطيران في السماء التي راقته وبين الغيوم التي شقها بجناحيه الصغيرين مع أجنحة جبران وكروان طه وشاعر المنفلوطي وغربال نعيمة وسحاب الرافعي وأغاني الشابي وديمقراطية مزالي .

أذكر أني قرأت « الديمقراطية » وحدي ولم أفهم مدلولها الفهم الذي يضعها لي مقابل كلمة عربية حتى قربها مني زملينا الاكبر موردا قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم .. » وأقنعني أن الشورى سبق عربي اسلامي استولى عليه الفكر الغربي وأطلق عليه كلمة « ديمقراطية » كدت أقتنع لو لم يمنعني التاريخ والواقع اللذان عليهما قامت وتقوم النظم العربية الاسلامية من ذلك الاقتناع ليحملاني على الهروب من ذلك الواقع الى المتوقع الذي يحلم بملاشاة ما في الوطن العربي من (دكتاتورية) تجثم في أشكال مختلفة مدى الوطن على شعوبنا العربية الشيء الذي شوه الصورة الجميلة التي كانت تحتل الصدارة من غرفة ذهني عن ديمقراطية الخلفاء الراشدين الذين رضي الله عنهم حين أرضوا الله في عباده ويوم لم يعد يرضي الخليفة ـ السلطان الا نفسه ومصالحه توقف العطاء الحضاري وضاعت الامة وشرخ صرح الوطن شرخا تسلل منه لنا الاستعمار وضرب بجذوره البعيدة فينا بعيدا وفي أرضنا وشخصيتنا ومقوماتنا .. فاذا نحن أمام مظلمة القرن العشرين ـ بفلسطين ـ لقمة ثريد في حلق «الصنبريالية» (*) العالمية أشتاتا ضعفا نلملم أنقاضنا فلا تتلملم .. ونجمع أشتاتنا فلا تتجمع هنيهة الا لتنفرط أكثر من

(*) **الصنبريالية** : تركيب مزجي لكلمتي : الصهيونية ، الامبريالية .

جديد فاذا تشتتنا فجوة تتسع يوما اثر يوم لتمتد منها لنا الزند الحديدية ذات القبضات المتعددة لتحكم على رقابنا الخناق فى مدارب الخوف من بعضنا البعض .. ونوغل فى الهروب من أنفسنا ونتفنن فى الاعوجاج عند الهروب لان ارادة السلطان لم تصبح من ارادة الشعوب ولذلك :

« قد مجنا الصغار والكبار ... هل ندعى بأننا أحرار ؟
وبعضنا يجندل الثوار ... يذود عن عدونا بالنار
صديقنا فى فهمنا يحتار ... من كثرة أعوجاجنا يعوج ..
ونحن نحتج !؟ »

* * *

زملائى كانوا يكبروننى سنا ويسبقوننى دراسة .. أما السن فذنب أمى التى ولدتنى متأخرا عنهم قليلا .. اما الدراسة فذنب أبى الذى شاء أن لا أدخل المدرسة«الفرنكفونية» الا متأخرا ، ولانى كنت ذكيا ـ كما ينادينى زميلى ذاك ـ فقد وضعنى معلم العربية فى القسم الثالث من التعليم الاساسى مباشرة ومانع معلم الفرنسية وأبى الا أن أبقى فى القسم الاول لأنى كنت لا أعرف من الفرنسية غير (وى) و (نون) . وما كان أبى ينوى أن يسمح لى بأن أذهب الى (الكوليش) وأتعلم لغة (النصاره) وأن البس (الشورط) تبانا كما يفعل أبناء فلان الذى له علاقة حميمة بـ «البباص : مسيو لابياص» ذى اللحية الكثة المرسلة وقد وخطها الشيب ، تلك اللحية كانت وجه شبه أول بينه وبين أبى الذى كانت له لحية هو الآخر ولكنها غير مرسلة بل محفوفة حفا « اخوانيا » لطيفا صاعدا من الذقن يرق داخلا تحت « شاشية » حمراء تحمر أكثر فى

الاعياد كاحمرار حافتها القابعة تحت عمامة تحوط بها بيضاء تبيض أكثر كل يوم جمعة ..

أما وجه الشبه الثانى بينهما هو أن كلا منهما كان مبشرا بدينه : البباص رهبان مسيحى .. وأبى امام مسلم يقول : (بأن لا رهبانية فى الاسلام .. والمسلم لا واسطة بينه وبين ربه) ولذلك كان يكره ذلك الراهب فاذا مر قرب بيتنا يتمتم أبى هامسا : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) !

هذا الأب كان مؤمنا بمحمد ايمانا مطلقا .. ايمان عجائز .. حتى أنه كان يدعونى : (محمد الصادق) ويدعو أخى : (محمد الحبيب) ولو أمكن له أن يسمى الانثى باسم (محمد) لدعى أختى الكبرى : (محمد الاولى) وأختى الاخرى : (محمد الثانية).

هذا الاب كان لا يرى العلم الا من خلال « القرآن » .. ولا يفهم الكتابة الا من خلال المصحف فى رسمه العثمانى ولو خيرته بين رواية ورش وقالون لاختيار فورا الرواية الورشية التى حفظت بها القرآن وكتبت بها سنين طويلة وابان دخولى المدرسة « الفرنكفونية » وجدتنى أعيش التناقض الحاد بينها وبين الرسم القياسى فاذا للقاف نقطتان من فوق بعد أن كان وحيد النقطة ، واذا (فاء الواحدة من أسفل) تصير ذات نقطة واحدة من فوق وانقلبت موازين النقاط والهمزات وحذف **المحذوف** ولم يبق غير **الثابت** حتى فى كلمة الرحمان التى كانت الف ميمها محذوفة صارت الفها ثابتة بالرغم من أن البعض من الكتاب اليوم مازال يحذف الألف فى كلمة (عبد الرحمن) وهو غلط ان لم أقل : «خلط فادح فى الرسم القياسى» الذى لا بد

أن نحترم قواعده فى كتاباتنا اليوم بل أذهب الى اكثر من ذلك فأقــول :

ما الداعى لحذف بعض « الالفات » فى عديد الكلمات أهــو اصرار منا على أن تبقى الكتابة العربية ذات معضــلات رسمية يتناقض بسببها نطقنا مع رسمها ؟

أمعنى ذلك أنه يجب أن نحافظ على تلك التناقضات وهاتيك الصعوبات والا فنحن لا نكتب العربية !؟

أليس من الاجدر والانسب والانفع أن نلغى ما يخالف فى كتابة كلماتنا النطق بها !؟

ثم لماذا لا نثبت فى كتابتنا ما هو منطوق به من أحرف ماثلة فى الصوت الاملائى !؟

اسمحوا لى يا سادة أن أتساءل : لماذا هذه الف الزائدة فى كلمة (مائة ؟!) (والزيادة تقتل المريض كما يقال) .

أليس من الاسلم والاسهل لنا ولاطفالنا أن نكتــب كلمــة (مائه !) هكذا (مئــة) حسب قاعدة الرسم القياسى : همزة وسط الكلمة قبلها كسرة تكتب على النبرة وكفى الله الكاتبين الزيادة التى لا مبرر لها .. قد يبرر أحدهم الواو الزائدة فى كلمة (عمرو) قائلا انها للتمييز بينها وبين (عمر) والاسلم أن نميزهما بفتحة هنا وضمة هناك على العين والحركـات فى الطباعة الحديثة صارت ممكنة جدا .. ممكنة للغاية .

سمعت أن أحد المشايخ كان يقول : إن الواو سرقها (عمرو) من (داود) أما آن لنا أن نعيد النظر فى مثل هذه السرقات ؟! فنرجع واو (داود) الى (داوود) لعله يرجع لنا أرضنا المسروقة منا لان (عمرونا) سرق منه واوه فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ! فسرق هو أرضنا فى هذا الزمان .

كما أن هناك بعض الكلمات التى نعطيها فى القول ألفا ونسلبها تلك الالف فى العمل أى فى الكتابة فاذا : [ذلك ولكن • والاله • وهذا • وههنا • وهؤلاء • وهذه • •] كل هذه الكلمات مسروقة منها الفها فى الكتابة بينما فى النطق بها موجودة فيها الألف وأرى من الثابت والواجب الحضارى ان يطابق (فعلنا قولنا وقولنا فعلنا) أى أن يطابق نطقنا كتابتنا وبغير ذلك سيظل أبناء الوطن العربى كلهم يقولون ما لا يفعلون حتى اذا آمنوا بالفعل المطابق للقول وجب عليهم أن يكتبوا : [ذلك ← ذالك ، هكذا ← هاكذا ، إلاله ← الالاه، لكن ← لاكن • •] لعل بذلك يقضى على البعض من معضلات رسم الكتابة العربية التى تضيع فيها أوقات – يا لها من أوقات ! – على المتعلم والمعلم معا . !

المعلم هذا الذى مازال يصرخ بألف (هذا) الى يوم الناس (هاذا) فى أذن الطفل حتى اذا كتبها الطفل بألفها عاقبه لان طفلنا أراد أن يفعل ما يقول وسيدنا المعلم يريد من طفلنا أن لا يفعل ما يقول ! .. أليس ذلك ظلم مر نمارسه على أطفالنا ؟

فلنعد النظر فى تلك المظلمات باسم الرسم الصحيح بينما الخطأ الذى يرتكبه طفلنا حين يكتب (هذه) بالألف بعد الهاء

هو الاسلم وبه يتطابق القول مع الفعل ، وتطابقهما هذا هو كل ما ينقصنا نحن العرب .. ينقصنا أن يتطابق عندنا الفعل مع القـول .

قد لا يعطى البعض منا أهميـة لهذا الموضـوع بينما هـو (بسيكلوجيا) هام جدا فى تكوين شخصية الانسان العربى منذ نعومة أظفاره منذ اليوم الاول الذى يرفع فيـه القلم بين الوسطى والسبابة والابهام ليكتب ما يسمع بـدون تزييـف ولا زيادة ولا نقصان والا فما معنى أن يظل بعضهم يكتب الى يومنا هذا كلمة : (الاله !!) بدون الف قبل الهاء لتصير (الالاه) وهى الاصح ! لعل ذلك راجع الى الذهنيـة التقـديسية ولاء للتراث الذى كتب به القرآن ، وحتى القرآن أرى اليوم أنه قد حان الوقت لاعادة النظر فى كتابته وخاصة فى المصاحف التى يتداولها التلاميذ الصغار فى التعليم الاساسى ويعتمدونها فى مراجعتهم للآيات او لقصار السور ، فاذا هم تجاه إشكال تراثى صار الاولى بنا أن نمتحفه وندع زياته لمن يهتم بالمتاحف بل من الواجب ـ من أجل سلامة قراءة القرآن الكريم ولكى نسهل على أطفالنا التوغل فى آياته ومطالعته وحفظه ـ أن نتقدم بنداء لطيف.. حار.. صادق.. طريف.. مؤمن بأن الوقت قد حان لتصدر وزارة التربية القومية منشورا تحث فيه المربين على عدم مطالبة التلاميذ باستعمال المصاحف فى شكلها الحـالى الذى يضع أطفالنا أمام معضلات وتناقضات ومشاكل وغرائب رسمية هم فى غنى عنها فى تلك السن على الاقل والا فانهم سيجدون أنفسهم وجها لوجه مع المتـاريس المصحفية التى تمنعهم من التوغل فى قراءة القرآن على ما هى عليه من كتابة ما تعلموها فى المدارس ولا حذقوا القراءة بها .

أهي مؤامرة بأن لا يقرأ طفلنا القرآن لأن المصاحف حبلى بهذه كلماته ؟ : الحيوة = الحياة / الزكوة = الزكاة / سللة = سلالة / يتوفيكم = يتوفاكم / الصلحت = الصالحات / اءلاخرة = الآخرة / وما شاكلها من عويص الكلمات التي قد لا يقدر على قراءتها (الطفل الكبير) فما بالك بالرجل الصغير) ؟

الى اللقاء

الصادق شرف

الادب الذهنى فى طبعة ثانية

صدر عن « الأخلاء » كتاب « الأدب الذهنى » تأليف الاستاذ على دب فى طبعة ثانية منقحة ومزادة وتتمثل الزيادة فى :

1) **القضايا الانسانية فى اللزوميات .**

2) **الأفكار الأساسية الواردة فى « اليوم الأخير » .**

الفصـــل الاول

مقومات الشخصية وحالاتها

(مـن أوجـه نظـر مختلفـة)

① مكيفات الشخصية البيلوجية 19

② وجهات نظر فى الملكات النفسية 27

③ طبيعة الروح من وجهة النظر الاسلامية 37

1 ـ مكيفات الشخصية البيلوجية

التفسير البيلوجى لطبيعة الشخصية

دور الدمـــاغ :

1 ـ **القشرة الدماغيـة :** تنقسم الى مراكز تتحكم فـى الوظائف الذهنية ، كالانتباه والافعال الارادية واللغة والكلام المكتوب والملفوظ وحواس النظر والذوق والسمع والشم . بحيث اذا اخلت هذه القشرة بوظيفتها لسبب او لآخر ينتـج عن ذلـك انحطاط او تحوير عام او جزئـى فـى الوظائـف الذهنية .

فمثلا علـى مستوى مراكز حاسة السمع او الرؤية الخ ..

(أ) الشخص يسمع ويفهم ما يسمعــه ، ويـرى ويفهـم ويميز ما يراه ، لكنــه يعجز عن التلفظ بمـا سمعه ، او بما فهمه ، كما يعجز عن كتابة ما رآه أو ما فهمه .

(ب) الشخص يسمع لكنــه لا يفهم ما يقال له بالرغم من انه يتكلم بشكل جيد (لكـن بدون تبليغ لمعـان) ، ويـرى الكتابة لكنه لا يتبين معناها ، ويكتب ويقرأ ولكنه لا يفقه ما يكتبه وما يقرؤه .

(جـ) أجهزة التصويت عند الشخص سليمة لكنه يعجز عن النطق ، وقد سبق له أن تعلم الكتابة ، لكنه يعجز عنها .

(د) حاسـة اللمس تكون عند الشخص سليمـة ، لكنه يعجز عن التمييز بيـن الناعم والخشن مثلا ، كما يعجز عـن

التفريق بين يمينـــه وشماله ، ويفقد التعرف على اعضائه . ويفقد ملكة العد ، وملكة الترتيب ، كمـا يعجز عن التقديـر البدائي للابعاد ويظـل طريقه حتى في منزلـه ، ويشعـر أن بيته مسكون بالجن وان دهاليزه مروعة . الخ .

(هـ) يكون الشخص غير مصاب بالشلل لكنه يعجـز عن القيام بأبسط الاعمال ، فهو يعجز حتى عن فتح علبة .

2 ـ **القاعـدة الدماغيـة** : يتمثـل دورهـا فـي تسييـر الاحاسيس والعواطف ، فكل احساس ، له صبغة عاطفية او انفعاليـة تخضـع للمهاد اما التقلبات المزاجية (الحـزن .. الفرح ..) فهي خاضعة لما يسمى تحـت المهـاد ، كذلـك الحالات الشعورية التي تتميز باليقظة والانتباه لما يدور في العالم الخارجـي .

وهذا الدور الذي يعطيه العلماء للقاعدة الدماغيـة يرجـع بالاساس للتجارب التي قام بها بشتريف وغولتز .فأما الاول فقد بين ان السلوك العاطفي للكلاب وللهررة لا يعتريه نقص كبير ـ بمعنى تدهور ـ اذا ما نزعت أمخاخهـا . فقد كانـت الكلاب تهر حين تتضايـق وتبصبص حين تأخذها موجة مـن المرح . وكانت القطط تبصق كلما هاجمها عدو ، وتموء كلما لاطفتها يد صديقة . اما اذا نزعت القاعدة الدماغية فان هـذه الارجاعات العاطفية تنعدم وبين الثانـي أن الكلبالفاقد لمخه يصبح عاجزا عن تعلم ايما عادة في حين تصبح عواطفه سهلة الاستشارة ، غيـر خاضعة للضبط ... فمثلا يصاب بنوبات هيجان حين ترتطم ذبابة بأنفه .

ويعتقد علماء فزيلوجيا الاعصاب ، أن حالات السرور ، والألم ، تتمركز فى ما يسمى « تحت المهاد » ودليلهم على ذلك ، أنه اذا نبهت هذه المراكز كهربائيا احدثت شعورا قويا بالسرور . وقد وضعت فئران بها اقطاب كهربائية مدفونة فى « مركز السرور » فى قفص به قضيب متصل بمصدر كهربائي وفى كل مرة يضغط الفأر على القضيب المذكور ينساب تيار كهربى ضعيف لمدة وجيزة فى القطب ومنه الى المخ فيتسبب للفأر فى سرور عظيم ينسيه حتى الطعام وقد نبهت بعض الفئران أمخاخها بهذه الطريقة اكثر من 2000 مرة متتالية فى 24 ساعة .

وقد استنتج العلماء من التجارب والملاحظات ـ التى ذكرناها ـ حول القشرة الدماغية وحول القاعدة الدماغية ، انه بالامكان وبواسطة التنبيهات الكهربائية وبالتغذية بنماذج خاصة من الرسائل الكيميائية الى احداث أى نوع من الاحساس مثل الرؤية والشم ، والفرح والحزن ... او باحداث اى نوع من الهلوسة .

دور الهرمونات الغدية والعصبية :

يعتبر البعض ان كل حالة مزاجية مرضية هى نتيجة لعدم التوافق الكيميائى الذى ينشأ لعدم التوازن بين الهرمونات بكل انواعها (الغدية ، الدماغية ، العصبية) فكل زيادة أو نقصان او انقطاع فى افراز الادرينالين او النيروكسين او التستوستيرون أو البرجستون او الكورتيزون أو السرتونين الخ .. تنشأ عنه حالة مزاجية خاصة ، كالزيادة

فى النشـاط او التهيج او القلق او الخـوف او الكـآبـة أو الانطواء او الحصر .. الخ .

فمثلا زيادة إفـراز هرمون الدرقيـة (الثيـروكسيـن) يترك الشخص فى حالة انفعال متواصلة ، فالنشاط متزايـد والاعصاب مرهقة تنفجر غضبا لاتفه الاسباب .

واذا زاد افراز هرمون البنكرياس (الانسوليـن) شعـر الشخص بالجـوع وانتابته الرعشـة والقلق والارهـاق واذا نقص افرازها ، شعر الشخص بالخمول والهبوط .

واذا عجزت الغدة الدرقية عـن افرازاتها ، فـان الشخص يشعر بالبطء وبالخمـول وبكثرة النسيان ، امـا اذا تزايدت افرازاتها فان الشخص يبدو عليـه عدم الاستقرار ، وتزداد ضربـات قلبـه ويرتفع ضغط الدم عنـده ويتدهـور وزنـه ويضطرب نومه . ويصير سهل الاستفزاز .

واذا ازدادت افـرازات الغدة الذكريـة عند النساء يصبح سلوكهن يشبه سلوك الرجال والعكس صحيح . وان الخصيان والاغوات ، ليفقدون ـ بازالة خصاهـم ـ كثيرا من صفـات الرجولة ، كخشونة الصوت ... الخ . وان زيادة افراز الغدة « الفوق العلوية » (الكظرية) يترتب عليها افراط فى مظهـر الرجولة سواء عند المرأة أو عنـد الرجل ، والرجولـة هنـا بمعنى الذكورة تقريبا ، واذا نقصت هذه الافرازات ترتب على ذلك الكسل وعدم الاهتمام بالجنس الآخر .

واذا لم يحـدث ضمـور غدتـي الطفـولـة (الصعتريـة والصنوبرية) قبـل البلوغ فـان الشخص يبقـى كالطفـل سيكلوجيا بالرغم من نموه الجسدى .

ثم ان التأثير الناتج عن افراز الادرينالين والمظاهر الفزيلوجية التي يحدثها ، من ازدياد في الضغط الشرياني وفي مضاعفة نشاط القلب والرئتين والكبد والطحال .. الخ وما يصاحبها من قلق وانقباض وخوف يهيء الشخص للفرار . وان افراز « النوراد رينالين » الذي يشبه في تركيبه الكيميائي الادرينالين ، ينتج عنه الغضب الذي يصاحب السلوك العدواني ومن هنا يتهيأ الشخص للمجابهة والقتال .

وتبعا لذلك نجد ان الادرينالين يكثر افرازه عند الاشخاص ضعيفي البنية ، الوادعين الذين يميلون للهروب والانسحاب من كل صراع .

وان « النورادرينالين » يكثر افرازه عند الرياضيين وكل الذين يميلون للمغامرة والتحدي . الخ ..

نظرية « الادرينالين » « والنوراد رينالين » هذه أول من قال بها هو الدكتور فون كشتيترن .

قال بعض العلماء : إن مرض الفصام هو نتيجة مباشرة لافراط مادة النيتروجين في الجسم . وان التقليل من هذه المادة او طردها من الجسم يتسبب في تحسن جد ملحوظ لدى المرضى ، واستعملت بعض المواد لهذه الغاية أهمها هرمون الغدة الدرقية . وقد لاحظ بعض الاطباء ان 30٪ من الفصاميين يعانون من اضطراب نوعي ومزمن في نشاط الغدة الدرقية .

وقد تبين أيضا ان مرضى البارانويا يفرزون كميات من الكورتيزون أكثر من التي يفرزها مرضى الفصام وان نكسات

المرض تكون فى العادة مصحوبة بارتفاع فى درجة هذا الهرمون وبالعكس كل تحسن يكون نتيجة لانخفاض فيه .

كما بينت بعض التجارب المتفرقة الدور السلبى الذى تلعبه (ميثيلية) الادرينالين فى تفاقم حالة الفصام فمثلا تم اطعام بعض الفصاميين بمركبات بها مستحضرات ميثيلية ، فازدادت اعراضهم شدة .

كما استطاع احد الباحثين استخلاص مادة تدعى « تاراكسين » من دم فصامى ، وعندما اعطى هذا البروتين لمتطوعين ، شخص عندهم أهم الاعراض الفصامية ، لكن لمدة وجيزة فقط .

كما استطاع باحث آخر استخلاص مادة تسمى بحامض « الهوكوتيك » ، وقال انها تميز عرق مرض الفصام .

يقول « همفرى أزموند » و « جون سميثرا » ، بان التسمم الذى يحدث فى المخ نتيجة خطأ يحدث فى التمثيل الغذائى الوراثي والذى يتمثل فى عجز الجسم فى تمثيل الحامض الامينى « فينيل الانين » هو السبب فى الاعراض الفصامية وهو شبيه بالتسمم الذى يحدثه المسكالين او كل مادة تشبهه في الخواص . وقد لفتا النظر الى التشابه الكيميائى الموجود بين المسكالين وهرمونى الادرينالين ونورادينالين .

تذهب المدرسة السوفياتية فى تفسيرها لطبيعة الفصام ، فى ان الفصام هو كف وقائى يشمل كل المخ . فالخلايا العصبية عند الفصامى هى فى حالة ضعف وارهاق ، بحيث ان أبسط المنبهات يؤدى الى استجابات قوية غير متطابقة

مع منبهاتها ، ولتفادى ذلك تستعمل قشرة المخ حالة الكف الشامل ، اى ان هذا الكف الفزيلوجى يمتد من قشرة المخ الى جذعه . فالهياج الكتاتونى المبالغ فيه ما هو الا علامة كف لحاء المخ وتحرر المناطق تحت اللحائية البدائية من تحكم اللحاء .

وتقول : ان سبب هذا الضعف والارهاق الذى يصيب الخلايا العصبية هو نتيجة لتسمم عام أصاب الجسم والمخ . وقد نشأت المواد السامة من اضطراب فى التمثيل الغذائى للبروتينات ، اما طبيعة هذا الاضطراب، فتقول : انها مجهولة وربما تلعب المناعة الذاتية عند كل شخص دورا هاما فى الاصابة بالفصام وعدم الاصابة به .

ويذهب بعض الباحثين الىأن سبب الوسواس القهرى يرجع لوجود بؤرة كهربائية نشطة فى لحاء المخ . وينتج عن هذه البؤرة وتبعا لموقعها من اللحاء فكرة او حركة ..الخ تكون هى هذا الوسواس القهرى أو ذاك وتستمر هذه الدائرة فى نشاطها بالرغم من مقاومتها بشدة من طرف المصاب ، وقد مثلوها بالاسطوانة التى تكرر نفس النغمة وتستمر كذلك ، ما دامت لم تحول الى مكان آخر . لكن فى صورة تحويلها تنتقل الى نغمات جديدة ، لكنها ترجع الى نفس النغمة وتتوقف عندها اذا تمت عرقلتها من طرف نفس الخلل . اى ان البؤرة ـ المتسببة فى الوسواس ـ وان كانت فى نشاط متواصل الا انها باتصال دائم ببقية الدوائر الكهربائية فى لحاء المخ وهذا ما يجعل المريض يتبين غلط هذا الوسواس ويقاومه .

لكن ذلك يختلف عن هذاءات العظمة او الاضطهاد . والسبب فى ذلك هو ان هذه البؤرة الكهربائية التى هى فى اللحاء ، معزولة ، او منفصلة عن بقية الدوائر الكهربائية اللحائية الاخرى . ولذا فان الشخص يؤمن بصحتها نظرا لعدم وجود نشاط لحائى على اتصال بهذه البؤرة لمقاومتها ولكف نشاطها .

أما بالنسبة لحالة الصرع ـ وفى نفس هذا السياق ـ هنالك فرضية تقول ، بان **الصرع** هو نتيجة لدفقة غير عادية لطاقة كهربائية شديدة تعم الدماغ . ويرسم جهاز الرسم الكهربائى للمخ هذه الشحنات أو التفريغات الكهربائية الحادة بكل وضوح .

اما الارضية التى ارتكز عليها من قالوا بهذه الفرضية . فهى أن كل ما تقوم به من فكر ونشاط يقتضى نقل موجات كهربائية بين حواسنا من ناحية وبين عشرات مليارات الخلايا العصابية الدماغية من ناحية أخرى . وهذه الخلايا تقوم ايضا بتحليل كل المعلومات الواردة عليها . وبارسال الردود المناسبة لكل وضع وحالة . وفى صورة توقف هذه الخلايا عن التقبل والتحليل والارسال ، يصاب الدماغ بفائض كهربائى عشوائى يتسبب له فى الصرع .

وتقول نفس الفرضية بوجود مثل هذه الشحنات الشديدة باستمرار عند بعض الاشخاص الذين لم يصابوا فى حياتهم بنوبة صرع واحدة ، لكنهم يظهرون استعدادات للاصابة بهذه النوبة اذا ما تعرضوا لتنبيهات محددة مثل ضوء يتحرك بسرعة معينة .

2 ـ وجهات نظر فى الملكات النفسية

ـ I ـ وجهات نظر فى الشعور والذاكرة :

يرى « برجسن » و « وليام جيمس » :

ـ أ ـ أن الشعور أشبه شىء بسيال دائم الحركة فهو لا يثبت على حال واحدة بل يتبدل ويتغير ، فمن فكرة الى أخرى ، ومن عاطفة الى أخرى ومن احساس الى آخر ومن ذكرى الى أخرى ، فالشعور يتبدل باطراد وعلى الدوام . ولا وجود لشعور خالص مطلق بل الشعور هو دوما شعور شخص معين .

ـ ب ـ الشعور متصل لا يعرف الانفصال والانقسام ويستأنف مجراه ، بعد النوم وغيره . والشعور ليس سلسلة منظمة من حالات عاطفية أو ذهنية ، ملتصقة ببعضها البعض وانما هو كتلة روحية ليس بالامكان أن نتبين أطرافها ولا أن نطلع على اجزائها ومركباتها بوضوح تام وكل المشاعر خاضعة لقانون التواتر (لذة ، ألم ، حب ، كراهية ...) ولو بقيت الاحساسات على نمط واحد لضعف الشعور بها ، لكن الانتقال الفجائى من ضد لآخر صعب .

ـ جـ ـ الشعور انتقاء واصطفاء ، ففى كل وقت نتذكر ما هو موافق لنا فى ساعة ما ، أو فى وضع ما ونهمل غيره . وهذا هو مصدر اختلاف الاشخاص فى ادراك او تثبيت شىء ما نظرا لاختلاف الامزجة والاهتمامات والطبائع والشخصيات

ـ د ـ الشعور غير قابل للقياس ولا يمكن التمييز الدقيق بين أحوالنا الباطنية بواسطة التقدير الكمى مهما كانت هذه الاحوال مختلفة مع بعضها البعض أو حتى متضادة ، ان كل اختلاف هو فى درجة شدته فقط . أى أن الشعور كيفية خالصة .

ـ يرى « مين دى بيران » (Maine de Biran) أن الشعور يستند الى التمييز بين الذات الشاعرة والموضوع المشعور به ، وهو شرط مشترك وأساسى لكل ما عداه من الفاعليات الذهنية .

يرى « هكسلى » (Huxley) أننا مجرد آلات واعية وهذا ما تذهب اليه النظرية المادية ، ومفاده أن الشعور ظاهرة تابعة واضافية لا نشاط لها ووجودها وعدم وجودها لا يؤثران فى نشاط الانسان ، وأنه مجرد خاصة من خواص المادة الرفيعة التعقيد والتطور وهو نتيجة لنشاط الدماغ .

وبين « هوسرل » أن الشعور قصدى دائما ، بمعنى أن الشعور ليس وعاء لمجموع الخبرات الذهنية ، بل هو فعل يقصد أو يتجه الى شىء خارجا عنه . فهو دائما شعور بشىء فمثلا ادراكى لهذا الكتاب ما هو الا نوع من التوجه اليه ، أما عندما استحضره أو اتخيله ، ليس معنى هذا أن شعورى وعاء يحوى صورة الكتاب ، بل اننى أتوجه اليه ، بطريقة ثانية . فشعورى فى كلتا الحالتين متوجه الى الكتاب لكن بكيفيتين متمايزتين فحسب . معنى هذا أن الذكريات ليست حوادث وخبرات نفسية مخزونة ، بل هى الشعور نفسه ، عندما يرجع هذه الحوادث والخبرات الى الماضى ، انه الفعل الذى يصير الماضى ماضيا . والفعل لا يمكن أن يوصف بالحفظ

لانه حاضر دائما . والتذكر هو فعل حاضر نستعيد به حادثة بارجاعها الى الماضى .

يميز « برجسون » بين نوعين من الذاكرة ، على اساس أن الاحتفاظ بالماضى يتم على نمطين :

1) صورة آليات حركية مثبتة فى الجسم .

2) صورة ذكريات نفسية غير مثبتة ومستقلة .

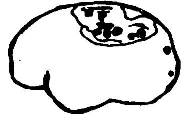
ويظهر الفرق بين هذين النمطين من الذاكرة فى حفظ قصيد مثلا ، حيث ان الحفظ يحصل بعد تكرار قراءات كافية لربط الكلمات ربطا آليا حركيا ، تجعل الاستظهار يرتبط بانطلاق الكلمة الاولى ، حتى تتبعها سلسلة الكلمات المترابطة المتداعية آليا ، كما يحدث فى العادة التى ترسخ بالتكرار . لكن اذا اردنا استحضار صورة القراءة الاولى ، فهذا الاستحضار او التذكر ليس ناتجا عن العادة لان القراءة الاولى قراءة واحدة وفريدة وهذا النمط من التذكر هو الذاكرة بمعناها الحقيقى لانها هى التى تستعيد الماضى فى حين أن النمط الاول أو العادة بصفة عامة تستفيد من الماضى .

ودور الدماغ فى التذكر لا يتجاوز المحافظة على آليات حركية تثير الذكريات التى تبقى أحوالا نفسية خالصة . لان اتلاف او اضطراب بعض خلاياه لا يتسبب فى اتلاف الذكريات بل يتسبب فقط فى صعوبة او استحالة استظهارها نتيجة لتلف الآليات الحركية المثبتة فيه .

لاول مرة يقع التعرف عمليا على عدة مناطق للعديد من النشاطات العقلية فى الدماغ منها حالات الانتباه والتأمل

والقراءة والعد والارتخاء العضلي والمؤثرات الحسية . وقد تعرف على هذه المناطق الباحث السويدى « دافيد انقفار » ووضع لها خريطة جديدة .

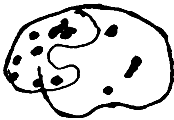
أما الطريقة التى استعملها لذلك تتلخص فيما يلى : يحقن غاز « الكزينون ، بعدمزجه بنسب ضئيلة جدا ببعض المواد المشعة ، فى شرايين الوداج لاحد المتطوعين وعندما يتحلل هذا الغاز فى الدم ، يتم غرز 32 كاشفا فى جلدة الرأس متصلة بدماغ الكتروني . وبعدها يقوم المتطوع باحدى العمليات العقلية كالقراءة أو التأمل .. الخ .. وعندما تندفع الدماء وتتجمع فى مساحة معينة من الدماغ يتغير نشاط



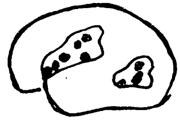
① مراكز حركة اليد



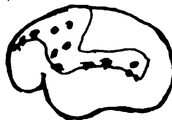
② مراكز المؤثرات الحسية



⑤ مراكز الارتخاء العضل



③ مراكز العد



④ مراكز القراءة



مراكز النطق

خريطة دافيد انقفار للدماغ

الايبض بنسبة 20٪ أكثر من المعتاد . وبالطبع يندفع غاز الكزينون المشع مع الدماء المتحلل فيها ويتجمع فى نفس

المساحة التى تجمعت فيها ويبدأ فى بث اشعة بنسب تفوق 20٪ عن التى يبثها فــى بقية الجســم وبذلك يحدد الدمــاغ الالكترونى المنطقة المختصة بوظيفة ما .

ـ 2 ـ وجهات نظر فى الاحساس والهيجان والعواطف :

« **موللر** » هو اول من ابرز انــه ما دمت الاعصــاب هــى الواسطة الوحيدة بين العقل وبين الاشياء ، فهى لذلك تلون معرفتنا بالاشياء وتضفى سماتها عليها . وان وجود اختلافات فى نوعية الاعصاب ، تجعل كــل عصب يفرض خصوصياتــه علــى الاشياء . واخيرا ان كــل نوع مــن الاعصــاب مختص باستقبال نوع من الانطباعــات ، اى كل نوع يستجيب الــى منبهات من طبيعته فمثلا الاحساس البصرى ينتج مــن الضوء ومن الضغط علــى كرة العين ومن قطع العصب البصرى عند استئصال العين وهكذا بالنسبة لبقية قنوات الحس ، وفــى هذا السياق قال « هيلمهولتز » فى هذا المعنى ، ان الاحساس هو الشعور بالتغير الذى يحدث فــى العضو وليس صــورة للشىء الخارجى .

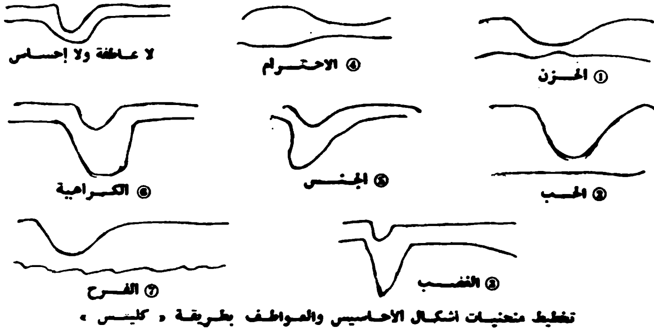
وهنالك من العلماء من قال : إن لكل خبرة حسية أكثر من عنصر واحد مــن عناصر الحس ، ومثال ذلــك حاسة الذوق فالشخص العــادى لا يدرك أن ما يسميه مذاق النعنــاع هو فى الواقع نتيجة للذوق والشم معا . وان اللمس مبنى علــى أربعة أحاسيس بدائية أو ابتدائية للجلد وهى الالم والضغط

والبرودة والحرارة ، وهذه تتفاوت فى درجتها تبعا للاشخاص وتبعا للشخص الواحد .

فى السنوات الاخيرة القريبة تم وضع علم جديد يسمى بـ « علم الاحاسيس » (Sentique) يقول هذا العلم : ان الاحاسيس والعواطف ، بالرغم من انها هى المركبات الاساسية لنفسية الانسان وهى التى تكيف تصرفاته وطبيعته فانه وقع الاكتفاء والى زمن قريب بملاحظتها ووصفها وتصنيفها فقط ، بدعوى ان هذه الظواهر لا تخضع للقيس ولا للعد .

وقد تبين للدكتور « منفريد كليتس » واضع هذا العلم الجديد بان لها شكلا ، وهذا الشكل هو عبارة عن تخطيط منحنيات اشكال التموجات الكهربائية للاحاسيس والعواطف وقد تبين أن هذه التخطيطات مطابقة لبعضها البعض عند كل الافراد كمطابقة الانف للانف والفروق الموجودة بينها ليست بالجوهرية . وقد تعرف « كليتس » على هذه الفروق الموجودة بين الاحاسيس بواسطة جهاز قام بصنعه .

وطريقة عمله هى ، ان احد المتطوعين يضع اصبعه على زر فى هذا الجهاز . ثم يتخيل عاطفة ما ، او احساسا ما ، فترتسم تموجاته على شكل منحنيات على شريط قد اعد لهذه الغاية . وتدوم كل تجربة ما يقارب الساعة ، تنقسم الى مرحلتين كل مرحلة يقع فيها تخيل سبعة أحاسيس أو عواطف .



تخطيط منحنيات اشكال الاحاسيس والعواطف بطريقة « كليس »

قال « لانج » (Lange) ان مظاهر الهيجان هى نتيجة لاتساع الاوعية الدموية وضيقها والتى تسبب فيها تغيرات دماغية مركزية .

واعتبر « وليام جيمس » (W. James) الانفعالات مجرد صدى ، او ارجاعات ادراكية باطنية . اى نحن نخاف لان اجسامنا ترتعد وليس العكس .

ويقول « بيار جنات » (P. Janet) ان الهيجان هو نتيجة لعدم التكيف ، ومحاولة فاشلة للتكيف بتحديد الطاقة لكن بصفة مضطربة وعشوائية .

وعمم «ريبو» نظرية «جيمس» على كل العواطف فمثلا ربط بين العاطفة الدينية واحساس المتعبد بالقشعريرة ، وقال: انها مجرد اضطرابات عضوية تظهر اعراضها عند المتعبدين أثناء

تصوراتهم لحالة « السكر الديني » . الخ .. وقل مثل هذا للعاطفة الاخلاقية والعاطفة الفنية الخ ..

توصل عدة بحاثة الى اكتشاف « مركز العنف » في الدماغ ، وبينوا ان العدوانية بكل اشكالها نتيجة لاثارة هذا المركز . وقد توصلوا الى هذا الاكتشاف بتحريكهم لبعض لفائف الدماغ بواسطة التيار الكهربائي .

وعندما حددوا هذا المركز عند بعض الحيوانات قاموا باتلافه وبعدما شفيت الحيوانات لم تعد قادرة على مهاجمة أي حيوان آخر معاد ، وانتفت عندها ردود الفعل . وتوجد عدة مراكز صغيرة محاذية لبعضها البعض وهي تتلقى أوامر اوتوماتيكية تحت قشرة الدماغ .

وقد بينوا انه عند اثارة هذه المراكز عند حيوان ما فانه يهاجم دون ان يكون امامه شيء واذا وقع اتلاف جزء صغير تحت المهاد فان اقل هيجان لمنطقة « مركز العنف » يؤدي الى وحشية تدوم حتى بعد انتهاء الاثارة . كما ان اتلاف منطقة محاذية لهذه المنطقة تجرد الحيوان من كل شعور ويبقى متخشبا مشلولا أمام أي هجوم من حيوان معاد كما بينوا ايضا ان للحيوان ما يشبه الجهاز الضابط يمكنه من ان يزيد أو ان يخفض من قوة العنف عنده .

وقام الدكتور « جوزيف كوفاخ » (J. Kovach) بعدة تجارب على بعض الديكة لكي يغير من البعض من غرائزها ، وقد نجح في ذلك وتتلخص هذه التجارب فيما يلي :

من المعلوم ان الديكة لا تقبل اختلاط الصيصان بها وكثيرا ما تنقرها وتطردها وفي بعض الاحيان تقتلها ، فاسكر

« كوفـاخ » بعض الديكـة وعندما سرى فيها مفعـول الخمر واصيبت بغيبوبة وضع بالقرب منها بعض الصيصان ، وعندما صحت وزال عنها مفعول الخمـرة لم تحـاول نقـر أو طـرد الصيصان كعأدتها بل والاغرب من ذلك وهو يتنافى وطبيعتها الاولى التى جبلت عليها أصبحت ومنذ اليوم الخامس تتصرف معها كما تتصرف مـع امهاتهـا الدجاجات ، وقـد استخلص « كوفاخ » من هذه التجـارب ، ان الاتصالات الاولى بين الأم ووليدها لها دور جوهرى وفعال بالنسبة للاثنين لان الصور الاولـى والانطباعات التـى يأخذها احدهما عـن الآخر تكون أقوى عامل على تمتين العلاقات الروحية والذهنية بينهما فى المستقبـل .

الساعات البيلوجيـة :

مما اثـار انتباه العلمـاء منذ مدة هو ما يسمـى بالساعات البيلوجية الداخلية التـى تسيطر عـلى عدة أوجه مـن نظام وتنظيم الجسم ، فمـن هذه الاوجـه ما تـدوم دورتـه أربعـا وعشرون ساعة ومنها ما يدوم شهرا ومنهـا ما يدوم سنة . فدرجة حـرارة الجسم وضغط الدم ومعـدل التنفس ومعدل النبض وكمية السكر فـى الدم الخ ... كلهـا خاضعـة لهذه الساعات البيلوجية .

هـذا النظام البيلوجى عـام وقائم عند جميـع الكائنـات الحية حتى أصغرها كالطحالب . ومن المعروف الآن ان نظام أى جسم يتأثر بكـل التغييرات الطبيعيـة ، حتى بـالنسبة للظواهر البيئية وغيرها الذى اعتاد العيش فيها والتى تكيف معها من وقت طويـل .

وقد قدمت عـدة فرضيات لتفسير الساعـات البيلوجيـة واخرها التى تقول : بان غشاء الخلية هو الذى يعمل بمثابـة ضابط الوقت فى الجسم وذلك لان القاسم المشترك بين كل الانماط البيلوجيـة الحيـة هـو الخلية الحية . وقد انشـأ أصحاب هذه الفرضية (وهم ثلاثـة امريكان يعملون بجامعـة هارفرد) نموذجا يتركب مـن ايونات تمرر ، ذهـابا وايابا ، داخل اغشية الخلايا الحية .

وقد تمكنوا من التدليل فـى اختياراتهم بان دورة الاربـع والعشرين ساعة فـى نبات الفاصوليا وفـى بعض أنـواع الطحالب تضطرب اذا وقعت معالجتها بمادة الفالوميسين وقد تبين من ذلـك ان الضوء يلعب دورا اساسيـا فـى التحكـم فـى الانماط البيلوجية للعديد من النباتـات والحيوانـات ، والسبب فى ذلك كما يقول هـؤلاء الباحثون بأنـه يؤثر فـى قابلية أغشية الخلية الحية لنفاذ الايونات فيها والابحاث مـا تزال جارية فى هذا المضمار .

3 ـ طبيعة « الـــروح » من وجهة النظر الاســـلامية

الروح فى القرآن والسنة :

أولا : معانيهـــا :

ذكرت الروح فى القرآن الكريم على عدة أوجه وهى :

أ) فى معنى الوحى : فى قوله تعالــى : « وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ... » وقولــه تعالى : « ٠٠ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده .. »

ب) فى معنى القوة والثبــات والنصــرة التــى يؤيد بها سبحانه وتعالى من يشاء من عباده المؤمنين : « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه .. » .

جـ) وهى مرادفة لجبريل عليه الســلام كقوله تعالــى : « نزل به الروح الامين على قلبك » .

د) الروح التى سأل عنها اليهود قصد التعجيز وهى التى ذكرها الله تعالى فى قوله « ... يوم يقــوم الروح والملائكــة صفا لايتكلمون .. » وفى قوله : « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهــــم .. » أما الآية التى لها دلالة أدق علــى محاولــة تعجيز اليهود للرسول فهى قوله جل وعــلا : « ويسألونــك عنالروح ، قل : الروح من امر ربى وما أوتيتم مــن العلم الا قليلا » .

هـ) وهى مرادفة للمسيح عليه السلام كما قال تعالى : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه » .

أما الروح البشرية فلم تقع تسميتها فى القرآن الا بالنفس ، قال الله تعالى : « يا ايتها النفس المطمئنة .. » وقال « ... ولا أقسم بالنفس اللوامة ... » وقال : « ان النفس لامارة بالسوء ... » وقال : « ... أخرجوا أنفسكم » وقال : « ... ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ... » وقال : « ... كل نفس ذائقة الموت ... » أما فى السنة فجاءت بلفظ النفس والروح .

ثانيا : خصائصها بالرجوع الى القرآن والسنة :

النفس ذات قائمة بنفسها لا تموت ولا تفنى ولا تضمحل قال الله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله ، أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ... » وهى اسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا ونزولا واتصالا وخروجا وذهابا ومجيئا وانطلاقا . قال الله تعالى ، « ولو ترى ان الظالمين فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم ... » وقال : « ... يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ... » وقد وصفها الله تعالى بالتوفى والامساك والارسال والدخول والخروج والرجوع والتسوية وهى تفارق جسدها وهى على قيد الحياة كما يحدث ذلك فى النوم وقال الله تعالى : « يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الاخرى الى اجل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ... » وللروح

قابلية للالم والعذاب والحسرة والمرض كما لها قابلية للراحة واللذة والنعيم . وتنقسم النفوس الى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية وهي تتأثر ببدنها وتأثر فيه ، فيكتسب البدن الطيبة والخبث من طيبة النفس او خبثها كما ان العكس ممكن وان اشد الاشياء ارتباطا وتفاعلا هما النفس وجسدها . لكن هذا لا ينفي ان للنفس شأنا غير شأن الجسد أثناء اتصالها به .

وللنفس بعد مفارقة الجسد صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها وهي متصلة به ، وليس لها مستقر واحد ، بل نفس في اعلى عليين واخرى في أسفل المستويات والنفس محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة مملوكة محاسبة ومجزية بعملها : « كل نفس بما كسبت رهينة .. » وأن النعيم والعذاب على النفس والبدن معا . والنفس تنعم وتعذب منفردة . وقد سبق خلق الانفس خلق الاجساد كما هو ثابت في الاحاديث الصحاح .

خواص الروح عند المفكرين المسلمين :

ـ 1 ـ الامام الغزالي :

يقول في كتابه (المضنون الصغير) : «ان الروح ليس بجسم يحل حلول الماء في الاناء ، ولا هو عرض محله القلب والدماغ ، ولا هو حلول السواد في الاسود والعلم في العالم ، بل هو جوهر وليس بعرض ، يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات .. » وقال في (كتاب الاربعين في أصول الدين) : « الروح لا تفنى البتة ولا تموت بل تتبدل بالموت حالها فقط

وبتبدل منزلها فترتقى من منزل الى منزل وان الحقيقة التى أنت بها أنت فلا تفى بالموت أصلا بل تتغير حالها فقط وتبقى جميع معارفك وادراكاتك الباطنية » وقال فى كتابه (مدارج القدس فى معرفة النفس : « مكونات النفس تشتمل على أمرين :

أولهما : الصورة الحسية البدنية بغرائزها الارضية والحيوانات .

ثانيهما : الجوهر الكامن فيها والذى هو المحرك لها والمدبر لامرها .

وتختلف صفات النفس طبقا لمنازعها واتجاهاتها .. فاذا اتجهت الى الرشد والصواب ونزلت عليها السكينة الالاهية ، فهى حينئذ النفس المطمئنة ، وقد تكون مع غرائز البدن والقوى الحيوانية فى صراع . فتارة تكون لها الغلبة على تلك الغرائز ، فهى عندئذ نفس لوامة ... وهى حالة أكثر الخلق ... أما حين تغلبها صفاتها الحيوانية فترضخ لها تماما فهذه هى النفس الامارة بالسوء ويمكن ان ندرك ان النفس جوهر منفصل عن البدن . من ان الانسان لا يغيب عن الشعور بذاته .. فهو دائما حاضر مع هذه الذات .. وفى النوم حين تكون الاعضاء البدنية فى شبه موت لا حركة لها نرى النفس فى المنام تنهض وتتحرك وتسافر وتتصارع ، فهى ليست مادة ... وليست جزءا من الجسم الذى هى فيه . ويرى الامام ان النفس ليست جسما ماديا لانه لو كانت كذلك فانها اما ان تكون مادتها داخل الجسم او خارجة عنه ، فان كانت خارجة فكيف تؤثر وتتصرف فى ذلك الجسم ؟ وان كانت داخل البدن لكان ينبغى اذا قطع من البدن طرف أن تنزوى النفس التى

كانت بذلك الجزء ، وتنتقل من عضو الى عضو . وذلك لا يحدث بل النفس تظل على قواها . فلو قطعت يد انسان او رجله فان قواه العقلية تظل بلا نقصان ، ولو كانت النفس الانسانية منطبقة فى البدن لكان يضعف فعلها مع ضعف البدن او مرضه ولما كانت النفس ليست مادة يجرى عليها ما يجرى على المادة فهى لا تضعف ولا تمرض ولا تشيخ .

وللنفس وظيفتان ، وظيفة فى تصريف البدن ، والوظيفة الاخرى فى سياسة الحياة والامور العقلية والوظيفتان تحتاجان الى توازن فى النفس وفى الاداء فزيادة اقبالها على عالم الحس يقلل من ممارستها للامور العقلية ... »

ويقول الامام : « تختلف النفوس فى ممارستها لوظائفها فأعلاها ان تكون مشرقة مضيئة كزيت مضىء ولم تمسسه نار . فتسبح هذه النفس فى عالم من الصفاء ، ويكون لها فيض متواصل تتلألأ فيه الانوار التى تفيض عليها من الملا الاعلى . فهذه النفس كأنما قد نفضت عنها بشريتها الهابطة واتصلت بعالم القدس ... حتى لقد يستوى امر هذه النفس فى ملابستها للبدن ومفارقتها له فهذه النفس تحكم البدن تماما وليس هو الذى يحكمها ... »

ـ 2 ـ الجرجانى :

يقول فى (التعريفات : مادة النفس) « النفس هى الجوهر البخارى اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية فهو جوهر مشرف للبدن وعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه . واما فى وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه فتثبت ان الموت والنوم من جنس واحد ، لان الموت هو الانقطاع الكلى والنوم هو الانقطاع

الناقص . وثبت ان القــادر الحكيم دبــر تعلق جوهر النفس بالبدن علــى ثلاثة أضــرب كان أولها : بلوغ ضــوء النفس الى جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه فهو اليقظة ، وان انقطع ضوؤها عن ظاهره دون باطنه فهو النــوم ، أو بالكليــة فهــو المــــوت ... »

ـ 3 ـ اخوان الصفــــا :

بالنسبــة لهم ، اسم الانســان واقع علــى النفس والبدن فأما البدن فهو الجسد المرئــى المؤلف من اللحــم والعظــام والعروق والعصب والجلد وما شاكلهــا وهذه كلها أجســام ارضية مظلمة ثقيلة متغيــرة فاسدة واما النفس فانهــا جوهر سماوية وروحانية حية نورانية خفيفة متحركــة غير فاســدة علامــة دراكــة لصــور الاشيــاء ان مثلها فــى ادراكها صور الموجودات من المحسوســات والمعقــولات كمثل المــرآة ، فان المرآة اذا كانت مستوية الشكل ، مجلوة الوجه تتراءى فيها صور الاشيــاء الجسمانية على حقيقتها . واذا كانــت المرآة معوجة الشكل أرتنا صور الاشياء الجسمانية على غير حقيقتها وايضــا اذا كانت المــرآة صدئة الوجه فانــه لا يتراءى فيها شيء البتــة .

ـ 4 ـ المجريطــى :

يقول: فى (الرسالة الجامعة ج I) : « النفس هى من الجسم مصدر الحركة والعلم جوهر روحانية نورانية ، شفافة حيــة بذاتها ، علامة فعالة قابلة للتعلم فعالة فى الاجسام ومتممة لها الى وقت معلــــوم .

ثم ان النفس تدبــر الجسد وتعمل بواسطتــه ، والنفس

واحدة وان تعددت قواها ، وان اخذت صفات واسماء فذلك يجسد ما يظهر منها بالافعال . فاذا قامت النفس فى الجسم بعملية الغذاء سميت النفس الغاذية واذا فعلت فى الجسم الحس والحركة فتسمى النفس الحيوانية واذا فعلت الفكر والتعبير فتسمى النفس الناطقة ... » .

ـ 5 ـ ابن مسكويه :

« الموت ليس بشىء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهى الاعضاد التى يسمى مجموعها بدنا كما يترك الصانع استعمال آلاته ... وان النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضا وانها غير قابلة للفساد وان ذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن متباين له كل المباينة بذاته وخواصه وافعاله وآثاره فاذا فارق البدن على الشريطة التى شرطها من الخير بقى البقاء الذى يخصه ونقى من كدر الطبيعة وسعد السعادة التامة ولا سبيل الى فنائه وعدمه ... »

ـ 6 ـ الامام شمس الدين ابن قيم الجوزيه :

يقول فى كتابه : « الروح » : إنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نورانى علوى خفيف حى متحرك ينفذ فى جوهر الاعضاء ، ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون والنار فى الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة بقى ذلك الجسم اللطيف مشاركا لهذه الاعضاء وافادها هذه الآثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح ...

الروح عند الاطباء المسلمين :

ابن النفيس :

يقول : « توجد الروح النفسانية فى بطون الدماغ وتصل الى الاعضاء عن طريق الاعصاب وتصعد هذه الروح من الروح الحيوانية الكائنة فى القلب الى الدماغ عن طريق الشريان السباتي وتنقسم الى النسيج الشبيه بالشبكة فتنمو وتصبح عندئذ الروح النفسانية وتقع هذه الروح فى البطن الخلفى للدماغ وتتحكم فى الحركات والذاكرة ، بينما تتحكم التى تقع فى البطن الامامى فى الحس والادراك اما الموجود فى البطن الاوسط فتتحكم فى التفكير .. »

اثبات الروح او البرهنة على وجودها عند ابن سينا .

البرهان الاول : ان الجسد يتغير (ينمو بالغذاء ويهزل بالمرض ، أو يبطل عمل بعض اعضائه ...) اما ادراك الانسان (شعوره ببقائه وتذكره لما مضى من عمره ومعرفته بالمحسوسات والمعقولات ...) فلا يتغير بذلك ، فهذا دليل على أن الذات (النفس العاقلة) مغايرة للبدن ولاجزائه الظاهرة والباطنة . ففينا شيء اذن غير الجسد ذلك هو الروح وقد قال فى ذلك : « تأمل أيها العاقل فى أنك اليوم في نفسك هو الذى كان موجودا فى جميع عمرك حتى أنك تتذكر كثيرا ما جرى من أحوالك فأنت اذن فى ثابت مستمر ولا شك فى ذلك وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتا مستمرا بل هو أبدا فى التحلل والانتقاص ، ولهذا يحتاج الانسان الى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه » .

البرهان الثانـى : بينما يفقد الانسان عضوا من أعضائـه يبطل الحس المتعلق بذلك العضو (وفقدان الاذن او تلفهـا يؤدى الى بطلان السمع ... وهكـذا) ولكـن ذاته (نفسـه العاقلة) لا تتأثر فى معارفها بشىء من ذلك ، ثم ان حواسنا الخمس تضعف عادة اذا ضعفت اعضاؤها بالهرم أو المرض أما الادراك فلا يضعف ضرورة مع المرض او الهرم بل ربمـا زاد . وقد يفكر الانسان او يفعل وهو غافل عن اعضاء بدنـه وحواسه ولكنه لا يغفل عما هو بسببيله فى التفكير .

البرهان الثالث : ان الانسان يظل يشعر بوجوده ولـو لم تكن حواسـه الظاهرة تمس شيئا ومثال ذلك لو ان انسانـا خلق دفعة واحدة وكاملا ثم حجب بصره أيضا ، وكان يهـوى هويا لا تتلاقى فيه اعضـاؤه ولا تتماشى ولا كان ثمت هـواء فى الفضاء يصدم جسمه (أو فى الفضاء هواء ولكن لا يكفـى لان يصدم جسمه صدما يحس به) فان هذا الانسان الهاوى فى الفضاء يظل مثبتا لذاته ومدركا أنه موجود .

البرهان الرابع : ان ادراكنا للمعقولات (الصور المجردة) التى لا تدرك بالحواس اصلا (الشرف ، الخير ، الاعداد ..) يدل عـلى اننا ادركناها بشـىء من جنسها وليس بحـواسنا (لان حواسنا لا تدرك الا المحسوسـات الماديـة) فيجـب ان نكون قد ادركناها بنفسنا ولذلك كانـت نفسنا روحانيـة مثل تلك المعقولات « المجردات » التـى أدركناهـا ، ثـم ان الحواس تدرك أشياء قليلة (معدودات محدودة وموجودة فى نطاق معين) بينما نحن ندرك بالنفس معقولات لا حصر لها ولا حدود لها اننا نبصر جبلا صغيرا أو جزءا من بحر أو عـددا

معينا من النجوم ولكننا ندرك بالنفس عظمة الجبل ومدى البحر وعدد النجوم الذى لا يحصى .

تعرضنا فى هذا الفصل الموجز الى أهم ما قاله الاسلام ومفكروه فى تعريفه للروح ، وعددنا أهم ـ أو على الاقل أشهر ـ البراهين التى وضعت للتدليل على اثباتها ، طبعا توجد بعض المفاهيم أو الملاحظات أو الادلة التى أهملناها لكنها لا تضيف كثيرا لما تعرضنا اليه . بقى أن نعرض بعض الاستنتاجات استوحيناها من دراستنا لموضوع الروح فى الاسلام بصفة عامة .

لم يوجد عند المسلمين (علم نفس) بالمعنى المتعارف عليه اليوم بل شذرات واشارات هنا وهناك أو بعض الفصول أو الابواب متفرقة فى ثنايا كتب الفلسفة والادب وجلها ذات صبغة دينية او فلسفية تتخللها الاشعار والامثال والشروح الماورائية وتقدم عادة فى قالب قصص . وقد تأثرت بالدراسات الفلسفية الاغريقية عموما وبارسطو خصوصا . أما المباحث التى امتاز فيها الاسلام ولعب فيها دور الريادة هى ما يسمى اليوم بـ « الباراسكلوجيا » (الدراسات ما بعد النفسية) .لقد استفاد الاسلام فى هذا المجال بالدراسات التى سبقته لكنه لم يقف عندها بل اختلف اختلافا بينا مع ما سبق ان توصلت اليه الحضارات السابقة ، معتمدا على ماجاء به القرآن الكريم والسنة فى هذا المجال بالاضافة إلى ما يسمى بالسلف الصالح (ابن تيمية والمكى والمحاسبى ..) والى التيار الصوفى .

وقد خصصت لها كتب مفردة منها « مدارج القدس لمعرفة النفس » للغزالى وكتاب « الروح لابن القيم الجوزية » كما

خصصت لها دراسات ممتازة كما فعل ابن الجوزى فى كتابه « الاذكياء » وابن سينا فى كل اعماله وابن طفيل فى كتابه « حى ابن يقظان » . وهذه المباحث اعتنت بالخصوص بأصل الروح وبمصدرها وبجوهرها وبمراتبها واحوالها من ادراكية ووجدانية ونزوعية كما أطنبت فى تفصيل خصائص النفس اللوامة والمطمئنة والامارة وقد اجادت فى البرهنة الشرعية والعقلية والحدسية على وجودها وفى تحليل حالاتها بالاخص حالة السكر الصوفى وبايجاز : لقد استنبط الاسلام « البارابسكولوجيا » ولو استعمل الطرق التجريبية الحديثة لبلغت بها درجة الكمال .

ومن الملاحظ ان الاسلام بصفة عامة لا يفرق بين الروح والنفس وقد لخص الجرجانى فى « التعريفات » ما اتفق عليه جمهرة المسلمين فى هذه المجال : « الروح الانسانى » هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان الراكبة على الروح الحيوانى (النفس) نازل من عالم الامر تعجز العقول عن ادراك كنهه وذلك الروح قد يكون مجردا (من البدن) وقد يكون منطبقا فى البدن (وهو النفس) .

مدارس أخرى تهتم بحالات أخرى :

اسحاقابن عمران (القرن التاسع المسيحى) والمالخوليا :

ـ **أ** ـ يرجع أسباب المالخوليا الى أسباب تكوينية ناتجة عن تقلب المزاج المتأثر بعوامل شتى .

ـ ب ـ وأسباب ناتجة عن الاكثار من الطعام والشراب وترك تنقية البدن لدرجة اختلال توازنه المتمثل فى العمل والحركة ـ السكون والنوم ـ اليقظة ، الاستفراغ والامتناع ، الطعام والشراب ، الهواء المتنسم والمستنشق ، واخيرا الاحداث النفسية التى تتصف بالعوارض والالام الناتجة لفقدان محبوب او شىء مرغوب فيه .

تمر بالمريض أفكار خيالية فيشعر باحاسيس خاطئة كالذى رأى جماعة من السود يريدون قتله والذى تصور انه فقد رأسه كما ان المريض يفقد المحاكمة والتمييز ، كالذى يخشى من سقوط السماء على رأسه فيجتنب المشىء تحتها والامثلة عديدة في هذا الصدد . غير أن المريض يلح على رؤية الطبيب لشدة يأسه وآلامه .

وللمالخوليا أعراض موحدة وهى الكآبة الشديدة والحزن العميق والفزع والانشغال المتواصل بدون سبب ، ومن الناحية الجسمية كلهم يشكون من الهزال والارق .

الفصل الثانـــــى :

نظريات الفلسفة في الشخصية

① الشخصية وتعديل السلوك من منظور « الجشطلت » 51

② الشخصية وتعديل السلوك من منظور الظـواهــرية

(الفيميلوجيا) 66

1 ـ الشخصية وتعديل السلوك من منظور « الجشطلت »

أولا : قضايا أساسية :

ـ 1 ـ **الجشطلت :** مفردة المانية لا توجد لها مرادفة مناسبة فى اللغة العربية ، ومفهومها أقرب ما يكون الى صيغة أو شكل أو أنموذج أو هيئة أو نمط أو بنية ، وهى تدل على كل منظم ومتسام ، مترابط الاجزاء باتساق . تكون فيه الاجزاء المكونة له مترابطة ارتباطا عضويا ، ديناميا ، مثل ترابط الروح بالجسد . والجشطلت هو النقيض الطبيعى للمجموع الذى هو مجرد كومة من الاجزاء التى قد تكون ملصقة الى بعضها البعض ، الجشطلت هو بمثابة اللحن الموسيقى ، والمجموع بمثابة كومة من الحجارة ..

ولكل « جشطلت » بنية من طبيعته تميزه عن غيره . وكل جشطلت له قوانينه الداخلية التى تتحكم فيه . وكل تغير أو تفكك لاى جزء من أجزاء اى جشلطت يتسبب فى تغيرات حتمية لا رجعة فيها لمجموع الجشطلت اى يفقد بنيته او تركيبه الاساسى . واذا رجعنا الى مثالنا الذى يخص اللحن الموسيقى وكومة الحجارة توضح لنا الامر .

بالنسبة لنظرية الجشطلت ، القضية الام ، هى الاهتمام بالتناقض بين ما يسمى « الكليات التى تساوى تماما المجموع الكلى للاجزاء المكونة لها وما يسمى « الكليات التى تتسامى فوق المجموع الكلى للاجزاء المكونة لها أو تتجاوزه» فالنوع الاول

هو هذه الكومة من الحجارة والنـوع الثانى هـو هذا اللحـن الموسيقى ككل ، والذى يختلف عن مكوناته ويتسامى عليهـا ويتجاوزها لكنه يتخلخل ويفقد هويته ، لافتقاره لجزء ضئيل من أجزائــه .

ـ 2 ـ **الاستبصـار** : هـو تحقيـق الفهم التام للاشيـاء والاحداث والظواهر ، ولا يتم اى فهم او استبصار بدون فهم بنية او الطريقة التنظيمية « كجشطلت » ما . واستبصار أى جشطلت هـو فهـم ترابط اجزائـه ككـل وبـدون تجزئـة والاستبصار هو انطباع صادق عن بنية فى صورة مشكل أو موقف .. الخ .

وبالتالى فالفهم الحقيقى ليس هو اقامة ارتباطات تحكميـة بين العناصر غير المترابطة ، بل هو انتقال من موقف تكون فيه الاحـداث أو الاشياء لا معنى لها ، الى موقف تكون فيـه الاشياء والاحداث لها معنى والشرط الوحيد لذلـك هـو ان تكون العلاقات بين الاجزاء لها معنى قابل للفهم . ولكن كيف يتم هذا الانتقال وما طبيعته . الانتقال هـو استبصار لمجالات مشابهة او مرتبطة او ملائمة لمجالات أخرى سابقة . معنـى ذلك انالفهم هو امكانية انتقال الاستبصار المكتسب بالتجربة الـى مواقـف او احداث او اشياء أخرى لهـا نفس البنيـة او أو التركيبة أو الجشطلت ، وان اختلفت عليـه فيكون ذلـك فى التفاصيل السطحية فحسب ، وكل فهم بغير هذه الطريقة يكون غير قابل للتعميم .

لـو كان فـى استطـاعـة الكائنـات الحية ادراك وفهـم كـل موقف او حـدث او شيء جديد بصورة مباشرة وسليمة وبدون التعرض لاية مصاعب او حواجز لاصبحت فى غير حاجة

للتعلم ، لكن الواقع هو أن فهم الكثير من المواقف المستجدة لا يتم هكذا تلقائيا وبصفة مباشرة ، بل يتمثل فى مواجهة لا بد من التغلب عليها وهذه المواجهة تتمثل فى الغموض وعدم اكتشاف المعنى ، ولا يصبح الفهم ممكنا الا اذا أمكن التعرف بوضوح على الاجزاء والخصائص الرئيسية للموقف التى تساعد على هذا الفهم . ومنها أو عندها يتكون استبصار « جشطلت » هذا الموقف او الحديث او الشيء الخ .. معنى ذلك ان الفهم يستدعى تغيير الادراك الاولى للمشكل واعادة تشكيله او تنظيمه باستبعاد التفاصيل والهامشيات لكى تبرز واضحة الخطوط الجوهرية للمشكل فيقع استبصاره كما هو بوضوح والتعلم فى مفهومه « الجشطلى » هو عملية انتقال من موقف غامض او لا معنى له الى موقف واضح مفهوم يعبر عن قضية ما ، أو يبلغ شيئا ما ... بالامكان التكيف معه واستعماله كمرجع أما الدافعية الاصلية لكل تعلم فهى التعلم نفسه ، ولكل فهم هو الفهم نفسه (هذا بالنسبة لبقية المظاهر) . وتحقيق الاستبصار هو افضل واهم مكافأة للشخص . وبالتالى فان اى شكل من اشكال التعزيز (التى تقول به بعض مدارس علم النفس) ليس له تاثير حقيقى على عملية الفهم (والتعلم) ، بل بالعكس فهو يؤدى الى الاضطراب وتوجيه الاهتمام الى وجهة ثانية هى المكافأة وترك العنصر الاساسى الذى هو الفهم ، وهل أثمن مكافأة من استنباط شيء جديد من شيء ضبابى أو مشوش أو غير مفهوم ؟ اى استخراج معنى من شيء لا معنى له .

وهكذا فان تشكيل الشخصية السوية منها والمرضية يرتكز على المعطيات التى حللناها واهمها الادراك ، والفهم

عن طريق الاستبصار ، والتعلم ، الذى لا يعتمد على التعزيز ولا على اللاشعور وخبرات الطفولة الاولى ولا على التعلم بالمحاولة والخطأ او غيرها من المفاهيم .

ثانيا : المنظرون الرئيسيون :

ـ 1 ـ **ارنست ماخ** : قال فى كتابه « تحليل الخبرة » : ان لكل من الزمان والمكان صيغة مستقلة عن الاسس الحسية التى يستندان عليها وقال : ان النغمة تظل كما هى مهما كان المفتاح المتحكم فيها .

ـ 2 ـ **كريستيان فون اهرنفلز** : قال : ان جل الكليات العقلية هى اكثر من مجرد مجموع اجزائها ، ويقدم العديد من الامثلة للتدليل على مقولته هذه منها ان الشكل المثلث ليس مجرد مجموع ثلاثة خطوط مستقيمة تكون ثلاثة زوايا ، لكن المثلث ، بالاضافة لمجموع العناصر الستة هذه ، نجد عنصرا سابعا ، وهو الاهم ، وهو « الصفة الجشطلنية » أو الصفة الشكلية للمثلث ، لانه بالامكان التصرف فى العناصر الستة الاولى لتشكيل مثلثات متعددة ومتنوعة ، لكن بدون ان يفقد المثلث « صفته الجشطلتية » .

كما قدم مثلا آخر ـ وهو الاشهر ـ وملخصه ان اللحن الموسيقى ليس مجرد المجموع الكلى للنغمات التى تكونه ، بل هو مجموع هذه النغمات ، مضافا اليها الصفة الشكلية المميزة له وهو صفته الجشطلتية . أى أن ما يميز هذا اللحن عن ذاك هو تنظيمه الداخلى ، او بنيته الباطنية ، لانه بالامكان نقل اللحن ـ بمجموع نغماته ـ الى مقام موسيقى مختلف دون أن يفقد صفته ، لكن اذا تغيرت عناصره المكونة ، اى بابدال انغام بأخرى فان صفته الجشطلتية تتغير تبعا لذلك .

ـ 3 ـ **ماكس فرتيمر** : يقول ان نظرة الكليات او المجاميع نظرة خاطئة ، لان الكل غير مساو لمجموع أجزائه من ناحية ومن ناحية ثانية الكل ليس مجرد مجموع الاجزاء مضافا اليها « الشكل الجشطلتى » اى ان الكل ليس مجرد أكثر من اجزائه ، لان الكل مختلف اختلافا جوهريا عن مكوناته بما فيها « الشكل الجشطلتى » ، لان الكل منطقيا ومعرفيا سابق لاجزائه ـ هذه النظرة شبيهة من بعض نواحيها بنظرية المثل التى قال بها افلاطون ـ ويقول ، ان الاجزاء لا تصير أجزاء وظيفية ، الا بوجود الكل التى هى مجرد أجزاء له . وان لكل الكل بنية وديناميات داخلية متكاملة تجعله يختلف اختلافا جذريا عن الشىء الذى يعتبر مجرد مجموع لاجزاء . وقد بين مخبريا (ظاهرة « فى » وهى ظاهرة ادراك الحركة ـ او توهم الحركة ـ انطلاقا من مثيرات ثابتة ،) وذلك حين تقديمها متتابعة فى وضعين متجاورين متلازمين ـ كما يظهر ذلك جليا فى الصور السنمائية .

وقد وضع فرتيمر عدة قوانين منها :

ـ قانون التشابه (المفردات المتشابهة تنتمى الى مجموعة واحدة) .

ـ وقانون التقارب (المفردات القريبة او المتجاورة يمكن فهمها اذا ما نظر اليها كمجموعة) .

ـ وقانون الغلق (المفردات التى تكون نمطا متكاملا مغلقا ينظر اليها كوحدة واحدة) .

ـ وقانون الاستمرار (المفردات التى تختلف بصورة طبيعية عن سلسلة مفردات أخرى ينظر اليها كمفردات تنتمى الى السلسلة ذاتها) .

ـ وقانـون المصير المشترك (الاشياء التـى تمـر بنفس التغير ينظر اليها أو تدرك كما لو كانت تشكل كـلا واحدا)

ـ 4 ـ **ولفجانج كوهلر** : يقول : ان الحيوان مثل الانسان يعتمد على الاستبصار ، فـى اختبار ما يرغب فى القيام بـه ، وعن طريق الاستبصار يصل الى حـل المشاكل التى تعترض سبيله ، وبالتالى كل خبراته السلوكيـة تتكـون عـن طريق الاستبصار لا عن طريق التجربة والخطأ . وان سلوكه ، كما هو بالنسبة للانسان والذى هو مجمـوع الخبرات الحسيـة والاستجابات الحركية ينظم عنده فى شكل مـا أو نموذج ما دينامى ومنسق اى « جشطلتى » كما هو بالنسبة للانسان .

وقد قام بعدة تجارب على القردة ساعدته على بلورة أفكاره هذه ، وتتلخص تجاربه فـى انه وضع قردا فـى قفص ووضع بعيدا عنه خارج القفص موزة ، ثم القيت بجانبه عصا ، فسارع الى استعمال العصا لتقريب الموزة اليه الى ان اصبحت فـى متناول يده . يقول كوهلر ان هذا يدل على أن القرد استبصر الوضع كله ثم تصرف تبعا لذلك . (استبصار القرد للوضـع يتمثل فى انه تصور ان يده ستصبح أطول باستعمالها للعصا ، اى ان العصا ستكملها وبالتالى سيتغلب علـى المسافـة بيده والعصا معـا) .

ثم علق كوهلر الموزة بحيث لا يستطيع القرد بلوغها ووضع صندوقين غير بعيدين عنه ، وبعد استبصار القرد لهذا الوضع الجديد سارع الى وضع احد الصندوقين فوق الآخر حتى بلغ الموزة المعلقة ، متصورا نفسه ، أطول بفضـل الصندوقين .

ـ 5 ـ **كوفكـا** : (أظهر غلط نظرية التعلم عـن طريـق المحاولة والخطأ) كما بسطها «ترنديك» قائلا : ان هذا الشكل

من التعلم أى (عن طريق المحاولة والخطأ) ليس مجرد عملية آلية انتقائية ، لان مجرد ملاحظة حيوان ـ التجربة ـ عن نقطة الجذب أو الدفع الخ .. للخروج من القفص أو للتحصيل على الطعام هو استبصار من نمط بدائى، هو استبصار بالشيء الذى سيجذب ولماذا سيجذب؟ وكيف سيجذب؟ .. الخ . ثم ان معرفة الحيوان بوظيفة الزر باعتباره شيئا للضغط وبوظيفة العروة باعتبارها شيئا للتعليق عليها ، فان ذلك هو الاستبصار بعينه ، لا فرق بينه وبين فهم الانسان لوظيفة الجرس الكهربائى للباب وهو يعتبر ان معضلة التعلم انما هى فى طريقة تكوين صيغ تتناسب مع الغرض المباشر من حيث الهدف والعقيدة الخ ..

ـ 6 ـ **كيرت ليفين** : لقد عمل دائما على التقليل قدر الامكان من دلالة الخبرة الماضية الترابطية وبمقابل عمل على ان يفسر نشاط الادراك على اسس دينامية فعالة وقد عمم هذه المفاهيم على كل ميادين الحياة الوجدانية والنزوعية والغريزية ... وهو أول من قال « بمبدأ العيانية » وهو ان الوقائع القائمة هى وحدها التى تستطيع ان تؤثر فى السلوك كذلك عمل على التقليل من الفروق بين العمليات ذات الطابع الميكانيكى وذات الهدف الغائى ، موجها الانتباه الى المقولة التى فحواها ان القوى الفيزيقية هى عادة « كميات موجهة »

ثالثا : تعديل السلوك من وجهة نظر « الجشطلت » :

قبل التعرض للطريقة « الجشطلتية » فى تعديل السلوك لا بد أن أتعرض الى عنصرين ، لهما ارتباط أكيد بهذا الموضوع أما العنصر الاول فهو يهتم باهداف العلاج النفسى او تعديل

السلوك بصفة عامة . واما العنصر الثانى فهو يهتم باشهر أساليب هذا النوع من العلاج .

قبل استعراض اهداف العلاج النفسى لا بد من القول بان الشفاء التام اى الرجوع الى كمال الصحة النفسية هو غاية لا تدرك ، لان الشفاء كما هو بالنسبة للسواء أمنية مثالية . انطلاقا من هذه الملاحظة يمكن ايجاز أهداف العلاج النفسى كما يلى :

اكساب العميل ثقة فى النفس ، وتبصيره بمشاكله وبأسبابها وبكيفية مجابهتها باسلوب صحيح وجعله يكتسب - أو يسترجع - ثقته فى الآخرين وفى الحياة ، وفى المعانى السامية . والعمل على رفع معنوياته وازالة شعوره بالضياع وعدم الجدوى ، وادخال عليه الشعور بالطمأنينة والامان ، اى تشكيل فكره ووجدانه نحو الاحسن والاقوم لكى يتقبل ذاته ويطورها ولكى يتقبل قانعا ، فخورا عائلته وعمله ومجتمعه .

يقول « تردو « : ان العلاج النفسى يشفى المريض أحيانا ويخفف عنه غالبا ويريحه دوما .

اما اساليب العلاج النفسى وتعديل السلوك فهى كثيرة سنعددها ، جميعا ، ثم نختار لكتابنا هذا اهمها .

وللتبسيط بالامكان تقسيم هذه الاساليب الى مجموعتين كبيرتين :

أولا : العلاجات النفسية الفردية ، حيث يكون للشخص الواحد معالج واحد ، وتضم :

1) التحليل النفسى الفرويدى 2) العلاج النفسى التحليلى اليونجى 3) العلاج النفسى الادلرى 4) العلاج النفسى المركز

علـى المريض (لروجـزر) 5) العلاج النفســى الوجودى ، 6) العلاج التنويرى (الفرنكل) ، 7) العلاج الاساسى ـ الاولى (لجانوف) (8) العلاج بالحقيقة (لكلاسر) (9) العـلاج النفسى العقلانى (لالبـرت أليس) ، I0) العلاج الموضوعى (لكاريمـان) II) العــلاج بالكتابـة (لفيليبس وفيـز) I2) العـلاج بالتنويـم المغناطيســى I3) العـلاج بالتخديـر I4) العلاج باللعب I5) العلاج السلوكى I6) العلاج الدينـى ـ الروحى .

ثانيـا : العلاجات النفسية الجماعية ، حيث يتولى معالـج واحد (او اثنان فـى بعض المدارس) معالجـة مجموعة مـن الاشخاص يتراوح عددهم من 7 الى I2 او الى 20 ويبلغ أحيانا 250 شخصا .

وتضم هـذه الاساليـب : I) العـلاج النفسى الاعتيادى 2) العلاج النفسى النزالـى 3) العـلاج النفســى الاجرائـى 4) العـلاج النفسى الكينونى 5) العلاج النفســى التمثيلى (السيكودرامى) 6) العلاج العائلـى 7) العلاج الجشطلتـى وهو محور حديثنا الآن .

روح العلاج النفسى الجمعـــى :

أكثـر الجماعات تميل الى أن تكون أقرب الـى التجانس بخصوص الاضطرابات التى تعانى منها . فمثلا نجد مجموعات تختص بالمدمنين وأخرى بالمنحرفين جنسيا وثالثة بالعصابيين وهكذا ... ذلك لان الخبرات المشتركة تساعد الشخص علـى التعبير عن مشاكله بأكثر دقة وأكثر صراحة ، ثم ان تبـادل

الحديث فى نفس المشاكل يساعد بدوره على التمثل الصحيح للمرض وعلى التخلص منه .

وفى هذا النــوع من العلاج يقع التركـيز علــى الجماعـة باعتبارها كيانا لــه وجوده المستقل . كما يقع التركيز علــى تنمية مناخ جمعى يقوم به الاعضاء بتبادل المشاطرة الوجدانية والتقبل فيما بينهم كما يقع التركيز على تحليل هذا التفاعــل وتحليل ديناميات قصد تحديد الانماط السلوكيـة المعرقلـة والدافعة لخلق مناخ يساعد الجماعة على حل مشكلاتها .

ومن هذا المنطلق تتبلور عدة قضايا أساسية تتمحور حول التفاعل بين الافــراد ، والتماسك الاجتماعى ، وتطور نمــو الجماعة ، وعند فهم هــذه القضايا الفهم السليم ثــم حلها فان الجماعــة تصبح وحدة تفاعــل ذات كفاءة ويكــون مردودهــا الايجابى فى صالح كل الاشخاص المكونيــن لهذه الجماعـة وفــى هــذا النوع من العــلاج المرضى هــم الذيــن يقومون بالادوار الرئيسيــة ، لانهم بتعبيرهــم بامانــة عــن مشاكلهم واضطراباتهم لبعضهم البعض ، فانما يعبرون عنشعور جمعى لمشاكل واضطرابــات موحدة بينهم ، وبالتالــى يساعــدون بعضهم بعضا على الاستبصار والادراك لخوالجهــم ولما كــان مخفيا عندهــم ــ أو عنهم ــ فالشخصعندما يتفحص اضطرباته فانه يفحص فــى نفس الوقت اضطرابــات افراد مجموعتــه . وهكذا تتاح الفرصة لكــل عضو لتغيير سلوكــه فى ضوء ما يتلقاه من تغذية رجعية باعتبار ان كل عضو فى الجماعة هــو عامل علاج للآخريـــن .

ويبقى دور المعالج مقتصرا على الملاحظة وتوجيه الحركة العامة في الجماعة ، وهو لا يتدخل الا عندما يرى أن العمل الجماعي انتابه خلل ما سيؤدى الى عرقلته .

وهذه فقرة قصيرة لكنها تعطى فكرة عن طريقة هذا النوع من العلاج .

دان : آه لقد رأيت مناما الليلة الاخيرة عن هذه الجماعة . رأيت في المنام أننا كنا في الجماعة . كنت أجلس هناك . جو كان يجلس هنا وكان جو يتحدث عن شيء لا ادرى عما كان يتحدث . ثم رأيت عددا من الناس يبدؤون في النظر من خلال النافذة اعداد غفيرة من الناس ، أقول لكم ، وقعت أنت بدعوة الشرطة ، والقيت خطابا طويلا نحو عشرين دقيقة عن الحرمات .

المعالج : هل رأيت هذا المنام ليلة أمس ؟

دان : نعم ، لا شيء حدث ، عدت الى بيتي في حوالى الساعة العاشرة من مساء أمس ، تناولت بعض العشاء ، ثم آويت الى فراشي . كثير من التوتر بيني وبين ابى . كلما ازدحمنا بالاعباء ، ازداد التوتر وقتل كل واحد منا الآخر . أنا لا احمل له حقدا ، وهو لا يحمل لى حقدا . ولكن كل واحد منا ينفجر في صاحبه . ارتطام فظيع وعراك شديد .

المعالج : بماذا تشعر نحو الحلم ؟

دان : بعضهم يتجسس علـى . أو أن الجماعـة سوف ترانى على حقيقتى او شيئـا مـن قبيل هذا . كانوا ينظرون الى بالفعل .

مارلين (فتاة) : كنت تقول فـى الاسبوع الماضى : انـك تحدثت فى حرية جدا فى خارج الجماعـة فى الجماعة فقط لا تتحدث بحرية .

فرينـزى : مـا الذى تخشـى أن نكشفه عنك ممـا لا تريد ان تعرضه ؟ (تعبير عن الاهتمـام)

دان : لا شـىء .

رون : ربما كنت تخشى مـن النـاس الآخريـن سيعملون أنك تتردد على جماعة .

دان : آه .

فرينـزى : هل تشعر ان والديك يتجسسان عليك ؟ أنت عارف ، أمـك ؟

دان : أنا لم أعد أطيقها أخيرا . أنا لا أكلمهـا ، أنا ابتعد عنها ، لاننـى كلما نظرت اليهـا أحس بـالرغبة فـى أن أصرخ فيهـا .. أن أتعارك معها ، أو شيئا من ذلك .

المعالج : ما هى الصورة التى تحملها لنفسك والتى سوف تطلع عليها الجماعة ؟ (السؤال هنا منصب على « مفهوم الذات . »)

دان : لا أعلم أنـا أعلم الصـورة التـى أحملها لنفسى ، ولكنها شىء تعلمه الجماعة .

المعالج : ما هـــى ؟ .

دان : اننى (زفت) كلمـا خرجت للنزهــة مع بنات ، ازدادت شكواى لا يمكن ان تكون هذه الكثرة من البنات بهذا السوء ـ مـن حيـث النسبة المائويـة ـ الامر نسبـى صحيحا ، ولكــن لا بهذه الكثـرة الهائلة ، اننى أخرج للنزهة اسبوعـا بعـد اسبوع مع فتاة جديدة ، اننى ارى فتيات كثيرات كل سنـــة .

رون : اثنتين وخمسين .

دان : وكذلك أمسيات الاحد أيضا وأحيانا خلال الاسبوع .

رون : فى كل مرة فتاة جديدة .

دان : آه اعتدت فى بعض الاحيان ان اخرج خمس ليال فى الاسبوع كلهن مختلفات .

رون : آه ، هـل تكـون الفتيـات الخمس فـــى الاسبوع التالى جديدات ؟

دان : نعم ، قليلا ما أخرج مـع الفتـاة الواحدة مرتين .

رون : لماذا كان هذا كذلك فى ظنك ؟

دان : لا أدرى لعلنى أنا السبب .

فرينـزى : لا انك اذا لم تتعرف اليهـن جيـدا ، مـا استطعن ان يكشفن عنك شيئا ، ولذلـك تستطيع ان تتركهن ولديهـن انطباع عـن عظمتك لـو أنك لم تخرج معهـن الا مـرة واحدة فقط . (ميـلان ، و . ريـزنبوم)

التفسيـــــر :

تقول نظريـــة تعديل السلوك الجشطلتيـــــة ، انه ، لكـــى نفهم أسباب هذا السلوك أو ذاك ؟ ولكى نفهم لماذا يتصـــرف هــذا الشخص بهذه الطريقة السوية ؟ او بتلـــك المرضية ؟ فعلينا أن نفهم كيف يدرك هذا الشخص نفسه ؟ وكيف يفهم الموقف الذى يجد نفسه فيه ؟ ومن هــذا المنطلق تعتبـــر هذه النظرية ان كل تحليل جشطلتى لا بد ان يعتمد على الادراك .

ابتدع العلاج الجشطلتى عـــالم النفس « بيـــرلس » ، لان مؤسسى هذه النظريـــة لم يقصد حينها ان يوظفوهـــا لتعديل السلوك .

يعتبر « بيرلس » ان دراسته الشخصية تكون أجدى وأدق عندما تتم أيضا دراسة خلفياتها ومجموعتها التى تنتمى اليها وتمثل معها .. « جشطلت » . اذ لا يمكن فصل الشخص عـــن خلفياته كمـــا أن نظرتنا للشخصية المرضية لا بد وان تكون على أساس متكامل ، لان الشخصية ليست مجموع كذا مـــن الاجزاء والتراكيب .

والمعالج « الجشطلتى » يسمح للمريض ــ باعتباره وحدة ــ بالتعبير عن مشاكله ، التى يعتبرها ، آنية ، بالكلام وبالحركة وبكل أنواع التعبير الممكنة والمتوفرة لديه .

والمعالج « الجشطلتى » يسمح للمريض ــ باعتباره وحدة ــ فى مجموعة على حدة ، وينتقل بين المجموعات ــ والافـــراد التى تكونها ــ فى جلسة مشتركة واحدة .

والمعالج لا يعلق على الجزئيات من أقوال وأفعال ، ولا ينقد الشاذ أو الآثم منها مثلا . وتستغرق الجلسات حوالى الثلاثة اشهر بمعدل مرتين فى الاسبوع .

وتعتبر هذه النظريـة ان القلق والعصـاب هو دليل على تفكك الاجزاء ، المكونة للصحـة العقلية ، وبالوعى بها يلتئم هذا التفكك ، وتسترجع الاجزاء وحدتها « الخشطلتية » .

وهذه المدرسة لا تعتبر الكبـت كعنصـر فعال فى مرض الشخصية يقول « اليس » فى هذا المعنى : « نحن لا نكبـت الحاجة بل التعبير عن الحاجة » .

كمـا تقول هذه المدرسة بأن سبب المرض النفسـى هو تعارض الاتجاهات عند الشخص الواحد التـى تتسبب فـى فصل الشخصية عن بعضها البعض . أو فى انقسامها . وهـى لا تؤمن بعقل باطن ، فمثلا : ان دفع حب المـال بشخص الى التفريط فى كرامته ، ودفعه اعتزازه بكرامته الى مقاومة المال، أصبح فى حالة صراع ، ولكـى ينتهـى هـذا الصـراع فمن الضرورى اندمـاج الرغبتين (جمـع المال والمحافظـة على الكرامة) وعندها يزول التوتر والتناقض والاضطراب وتعود حالة الاتزان للشخص .

ويقوم المعالج بمحاصرة للمريض باسئلـة تساعده علـى مواجهة نفسه والى ربطه بواقعـه الفعلى والحسـى ولا تؤمن هذه المدرسة بوجود صفات انفعالية طفيلية عنيفة تسبب فى بروز المرض النفسـى . وانما تعتبـر أن المريض يرتـد أو ينكص الـى تصرفات طفوليـة كالبكـاء والانهيـار والهروب والانزواء والاستغاثة لكـى يتملص مـن تحمل المسؤوليـات وتبعات الحياة ويعتمد على الغير اعتماد الطفل على أمه .

وتلح هذه المدرسة علـى ضرورة معايشة المريض نفسيا للواقع والتركيز على الحاضـر وعلـى المستقبل ، وبذلـك تلتحم مجالاتـه الباطنيـة والخارجية بابعادهـا الزمكانيـة ، النفسية وغير النفسية .

2 ـ الشخصية وتعديل السلوك من منظور الظواهرية (الفيمنلوجيا)

أولا : قضايا عامة :

قدمت الظاهراتية عدة تصورات ومفاهيم لفهم طبيعة الشخصية وتحليل ابعادها . وتعددت مسميات هذه التصورات والمفاهيم تبعا لواضعيها ، فمنهم من يسميها بنظريات الذات ومنهم من يسميها بنظريات التركيب ومنهم من يسميها بالنظريات المعرفية ومنهم من يسميها بالنظريات الوجودية الخ .. لكن مجمل هذه التصورات والمفاهيم كانت لها نفس النظرة للقضايا العامة الجوهرية المطروحة اى أنها درست الشخصية من المنظور الظاهراتى .

تدور التصورات والمفاهيم الظاهراتية حول محور محدد هو خبرة الشخص كما يدركها هو وينظمها .

وهي تعطى الدور الاكبر والاخطر للادراك والمشاعر لفهم كنه الشخصية ، وبالتالى فهى ترفض كل النظريات التى قذفت بها مدارس علم النفس الاخرى وبالخصوص مدرسة التحليل النفسى والمدرسة السلوكية . وان كانت تلتقى فى بعض النقاط مع « الجشطلت » .

الظواهرية فى فهمها للشخصية تهتم بالخصوص بكيفية معرفة الانسان لنفسه ولفهمها . وهذه المعرفة هى بالاساس

الانتباه الذى يوجهه الشخص الى العمليات الداخلية التى بواسطتها يعمل على تنظيم وتصنيف خبراته واحواله .

والظاهرانية تنظر الى الانسان على انه « كائن يعيش الخبرة » بدلا من اعتباره « شخصية ذات تركيب معين أو نظام من الآليات والديناميات الخ .. اى انها تكتفى بالنظر لخبرته الذاتية وبنظرته هو للعالم ولنفسه ولمحيطه الاجتماعى.

وتعديل السلوك الظاهراتى ينطلق من مفهوم فحواه ، ان المعالج لا يستطيع التعرف على السلوك الانسانى والتنبؤ به بدون الاعتماد على الشخص نفسه ، أى بالاعتماد على ادراكات الشخص لنفسه ولمحيطه ولعلاقاته مع هذا المحيط .

ثانيا : المنظرون الأساسيون :

ـ I I ـ **هيدجر** : يقول : إن الشرط الاساسى للانسان هو وجوده مع الغير وانغماسه فى الكيان الاجتماعى ، وهذا الوجود مع الغير ليس مجرد علاقات تفاهم أو تنافر مع أشخاص معينين ، بل هو علاقة فورية اجمالية وشاملة ، ان المثال التجريدى الذى قد يمثل أفضل تمثيل هذا المفهوم هو مثال الفريق الرياضى الذى ينهمك أعضاؤه فى نفس المهمة مع الشعور الخفى بوجودهم الشخصى وتجمع أناس لم يتمكنوا من استيعاب شخصيتهم الخاصة . حالة يعبر عنها أفضل تعبير الضمير المنفصل « هم » بالرغم من تجاوزاته .

ان الطفل الذى يقول (سنلعب) أو (لعبنا كثيرا) انما يعنى به كل الاطفال الذين شاركوه اللعب لكن مع الاستناد المضمن لمجموعة الاطفال المنافسة .

ويقول ان النماذج الثقافية قائمة فى الغالب على التنافس ومجابهة النوازع العدائية ، وأن مجرد تجزئة أشخاص الـى مجموعتيـن تثير فـى نفس الوقت ، لـدى كـل مجموعـة ، نوعا من الادراك الجماعى وطرائق للصراع الى درجة أن كـل اقتراح غرضه الانسجام بين المجموعتين ، يـؤدى الى بروز التوتر والعدوانية .

ـ 2 ـ **سارتـر** : يقول عند تحليله لتجربة نظر الآخـر وما دام الغير يعيش تحت أنظارى ، دون ان يشعر بوجودى ، فانى اعتبره نوعـا من الهدف ، هذا الموقف يحدث لى نوعـا من شعور الاستعـلاء ، ان وجـود الغير يقتصـر جينئذ على مجموعة من الحركات والاشارات وبذلك ينخفض الى مستوى الاشخاص الآليين ، ولكن اذا اكتشف وجودى ، فـان الوضع ينقلب فجـأة ، فانظر اليه عندئذ كفـرد ، ويستطيـع بدوره اعتبارى كهدف ، فاذا فاجأنى وأنا أوليه اهتماما غيـر عادى فقد يشعر كل منا على حدة بالضيق والانزعاج ، ولكن ولـو لم يتسم بأية نية تنطوى علـى العداء والامتعاض فـان نظرة الغير تجردنى من نفسى وفى الوقت نفسه مع « الانا » أكون موجودا للغير ، بمعنى ذلك يقول سارتر « يمكننا ان نعتبـر أنفسنا عبيدا بقدر ما نظهر به للغير فعندما أشعر انى مراقب تتغير نفسيتى كليا وافقد جزءا من حريتى فى سبيل حريـة غيرى . ومـن هنا ينشأ نوع من الخجـل الميتافيزيقـى » . فالخجل بحالته العادية ، ليس شعور الفرد عندما يفاجأ وهـو يقوم بعمل يعاقب عليه قانونا ، بل أن يكون هو هدفا للغيـر وهذا دقيق المعالجة لان العلاقات المتبادلة قـد تنقلب رأسا على عقب .

وهكذا تكون العلاقة الاصلية علاقة نزاع نشعر فيه مسبقا بأن الغير يماثل الخصم « فالغيــر هو مبدئيــا ذلك الــذى لا يمكن الاستيلاء عليه ، وهــو يهرب منــى عندمــا أبحث عنه ويملكنيعندما أهــرب منه » من هنا نشأت مختلف وسائــل الدفاع عن الحشمة ، كالالبسة والرزانة ، وكبت العواطــف بكلمة موجزة تليينالغير ، واغراؤه ، واخضاعه ، بالاستعطاف والرياء والتشهير والعنف .

لكن التبادل بيــن الافراد والمجتمع يظــل ممكنا رغما عن ضآلته وعدم استمراريته .

ـ 3 ـ **غودسورف** : يقول : إن الشخصية ليست ما نحن عليه ، وانما شخصنا هو الذى نريد اقناع الغير به ، أو ذلك الذى يريد الغير اقناعنا بأننا هو ويختلط هــذان التعريفــان ليؤلفا واجهة اجتماعية ، فنرى أنفسنا بادىء الامر كما يرانا الغير وكما يريدنا أن نكون .

وهذا التصوير الواقعي الذى قدم لنا فيــه سارتر صــورة نادل المقهى يعطينا فكرة أوضح عن نظرية غود سورف هذه ، يقول سارتر عن النادل ، ان حركتــه حية ، موزونة ، مفرط قليلا فى الدقة والسرعة ، ينحنــى ببعض العجــل ، ويعرف صوته وعيناه عن نوع من العناية بطلب الزبــون .. اخيرا ها هو يعود محاولا تقليد صرامة الاشخاص المسيرين ، وها هو يلعب ويلهو .. ولكن بأى شــىء انه يلعب دور نــادل المقهى ويلعب بوضعه بغية تحقيق هذا الدور .

ويقول غود ســورف ان القوالــب المتعلمة عــن الوسط الاجتماعى والتى تلون الشخصية . لا تؤثر فحسب على طريقة

عيش الشخص أثناء تعامله فـي المجتمع بـل وايضـا علـى تصرفاته في منزله وفي وحدته . أي فـي كل الادوار التـي يتقمصها . فمثلا هناك شخصية الرياضي التي تفرض عليـه نوعا من الحياة الرياضية الصارمة والدقيقة وقل هذا بالنسبة لغيره ، أي ان كل فرد تتكيـف شخصيته بحسـب النموذج الذي يختاره وبحسـب الدور الذي يلعبـه وطريقـة اللعـب مفروضة عليـــه .

ـ 4 ـ **كورفيتش** : يقول باستحالة الفصل بين الضمير الجماعي والضمير الفردي فـ (النحـن) و (الانا) و (الانـت) يشكلون وحدة كاملة لكن بالرغم من هذا الانصار بين هذه الوحدات بالامكان التمييز بين مستويين اثنيـن للوجدان ، المستوى الاول يمثل الوجدان الجماعـي والمستوى الثاني يمثل وجدان كل شخص على حدة . « فالانا الرقمـي » وهو احد الوجـوه السطحية « للنحن » يقابله ـ أومقابل ـ الاتحاد الفكري الذي هو أعمق واقوى مظاهر (النحن) .

كما يقول ، عندمـا ننظر فـي الحياة الداخليـة للشخص ونواجهه بخارجية المجتمع ، وعندما نطلب مـن الفرد العودة الى نفسه للتحرر مـن الضغط الجماعي ، وبكلمـة موجزة ، عندما نعرف (الانا) الاجتماعي كـ (الانا) السطحي بأن نقابله (بالانا) الداخلي العميق نكون قـد ارتكبنا خطأ فادحا فـي التحليل ذلك لاننا نوحد في ذاتنا الحياة الاجتماعية كلها مـع الجماهير . ثـم نتجاهـل هـذا الواقـع ومؤداه أنـه كلمـا كانت العاطفة الاجتماعية اكثر قوة ، كلما أصبحت أقل ضعفا وخارجية ، لانها تتسرب عندئذ داخل (الانا) المرتبطة داخليا بعدد كبير من (الانا) .

ـ 5 ـ **البـــورت :** يعتقد أن السلوك يكون مدفوعا فـــى الاصل بواسطـة الغرائز . لكن طبيعة الغرائز تتغير بشكـــل جـــذرى وتدريجيا بداية من مرحلة الطفولة الى آخر مراحـــل العمر ، بحيث تحلغرائز جديدة عند الكبار . ومفهوم الغرائز عند البورت يضم مجالا واسعا من الدوافع .

ويسمى البورت هذه الظاهرة **بالاستقلال الوظيفى**، معتبرا أن الاستقلالية الحقيقية والنضج الذهنـــى والنفسى للشخص تكون باستقلالية دوافعه ، اى بعدم ارتباطها بدوافع الطفولـــة

وهو يقول بان تاريخ الشخص وان كـــان يساعدنـــا علـــى اكتشاف النسق الكلى لحياته الا انـــه لا يفسر سلوكه فـــى الحاضر اى ان الدوافع السابقة لا تفسر شيئا الا اذا كانـــت ايضا دوافع حاضرة .

وهو يأخذ بوجهة النظـــر الكلية لدراســـة الانسان ككائن بيولوجـــى واجتماعى متكامل ويركز علـــى الخبرات المدركة لديه فى الوقت الحاضر كمـــا يركز على ذاته الظاهرية وعلى نمطه الخاص به فى المواءمة كما يقـــول بان الشخصيـــة هى مجرد تنظيم للسمات ، كمـــا يقول بسمات عامة قـــد يشترك فيها كل الناس بدرجات متفاوتة ، لكـــن هذا لا يعنى أنـــه لا يركز على تفرد كل شخصية .

ـ 6 ـ **رولى ماى :** يقول اذا كنـــت أفكر فـــى الاسباب والكيفيات المتعلقة بالطريقة التى بدأت بها المشكلة ، فانى سوف أدرك كل شىء عدا الشىء الاكثر أهمية وهو الشخص الموجود فى الحقيقـــة ،سوف أدرك كـــل شـــىء عـــدا المصدر الحقيقى الوحيد للبيانات التى عندى وهو هذا الكائن الحـــى

الذى يعيش خبرة وجوده ، وهو ذلـك الشخص الذى يخبـر الآن وعلى الفور وفى هذه الحجرة معــى ، نموه وصيــرورته وبناءه للعالم .

هذا معناه أن نظرية « مـاى » لا تهتم بمصدر الاضطـراب بالرجوع الــى الطفولة المبكــرة ولا الــى البحث فى قوى لا شعورية ، بل هى مثل كل النظريـات الوجوديـة تعتبـر ان الانسان قادر على الاختيار والمسؤولية .

ـ 7 ـ **ليفيـن** : اخترع مصطلح المجال « الحيوى » الذى يعنى بالنسبة اليه المجموع الكلى للحقائق التى تحدد سلوك الشخص فى فترة محددة . وهذا المصطلح يضم ثلاثة عناصر وهى الشخص والبيئة النفسية والمجال الحيــوى . والسلوك هو نتيجة لهذه العوامل الثلاثــة .

وهو يعتقد انه لا ماضــى الشخص ولا مستقبلـه يوجدان فى اللحظة الراهنة التى هى حاضره ، ومن هنـا لا الماضــى ولا المستقبل لهما تأثير فعلى على الحاضر . هذا بالرغم من أن سلسلة الاحـداث الماضية هى التــى ولـدت الحاضـر ، وهذه السلسلة نفسها هى التى ستمتد الى المستقبل بايجاز : الاحداث الراهنة هى التــى تسبب السلوك الراهن وهــذا ما يسميه بمبدأ المعاصرة .

وهو يقول : ان الحدود بين الشخص والبيئة النفسية وبين المجال الحيوى والعالم المــادى قابلة للتواصــل مع بعضها البعض والنفاذ فى بعضها البعض اى ان لهــا قابلية التأثيـر المتبادل فيما بينهـــا .

وهو يرفض فكرة الخصائص الثابتة للشخصية مثل مفهوم السمــات والعــادات والحاجات ويقول : انهـا متغيرة كلهـا

وتأثيرها يقتصر على الموقف الراهن فقط لان الشخصية هي دينامية بطبعها .

ـ 8 ـ **كارل روجرز** : يقول : إن السلوك هو نتيجة للاحداث الادراكية المباشرة كما يخبرها الشخص بالفعل . واذا استحال على الغير التعرف على « الاطار المرجعي الداخلي للشخص » فان الشخص نفسه هو الوحيد الذى في مقدوره استبصار حقيقة نفسه والوعى بها . وكل شخص هو الخبير الوحيد بنفسه ، أو على الاقل هو اكبر خبير بنفسه . ولديه أفضل وأغزر المعلومات عنها . وبالتالى فان الكيفية التى يزن بها الشخص الاحداث ويفسرها بها انما تحدد الكيفية التى بها يستجيب لهذه الاحداث .

وروجرز لا يؤمن بمكونات دافعية لا شعورية تسير السلوك بل يرى ان الكائن الحى ينشط وظيفيا ككل منظم لكى يحقق ذاته ويحافظ عليها ويطورها .

وهو يقول : ان الانفعالات ناجعة للتوافق ، لانها تصاحب السلوك الموجه نحو الهدف وتيسره والكائن الحى من خلال تحقيقه لذاته يقوم بعملية تقييمية فكل الخبرات التى تساعده على تحقيق هدفه يعتبرها ايجابية وكل الخبرات المعرقلة والعائقة يعتبرها سلبية وبالتالى يحجم عنها « فالكائن الحى يتصف بنزعة اساسية وبسعى أساسى وهو أن يحقق كيانه ويحافظ عليه ويرفع من شأنه وذلك فى سياق معايشته لخبرة وجوده .

ومفهوم الذات عند روجرز يتألف من ادراكات خصوصيات الـ « أنا » وادراكات علاقات الـ « أنا » بالآخرين وبجوانب الحياة المختلفة وفى ارتباطها بالقيم المتعلقة بهذه الادراكات

وكنتيجه لتفاعل الذات مع البيئة ومواجهتها لها فانهاتصبح متميزة عنها ، وهـذا التميز يؤثر فى الادراك والسلوك أى أنه هو الذى يؤثر فى كيفية ادراك الذات لبقية ابعاد الشخصية . وتبعا لذلك تصبح خبرات الذات محصنة بجملة القيم التى هى نتيجة للخبرة المباشرة مع الآخرين ومع البيئة .

كما يقول بوجود حاجة غريزية يسميها بالحاجة الى الاعتبار الايجابى التى تتطور بتطور الوعى بالذات وهذه الحاجة تجعل الشخص يبحث عن حب وتقدير واعتبار الآخرين وبكلمة : تقبل الأخرين له .

والشخص لا يهمه اعتبار الآخرين فحسب بل وايضا الاعتبار من ذاته . وفى صورة عدم حصوله على هذين النوعين من الاعتبار فانه يشعر بالاحباط ، ولن يتحقق له التوافق النفسى والاشباع الا اذا تحقق اعتبار الغير له واعتبار الذات . ويكون هذا الاعتبار المزدوج غير مشروط وغير مفتعل ومطلقا .

ويبرز روجرز نظامين لبناء الشخصية وهما « مفهوم الذات » والكائن الحى . وهذان النظامان يدخل احدهما مع الآخر أما فى حالة تعارض وتكون النتيجة هى الاضطرابات والتوتر والشذوذ الخ .. أو يدخلان فى حالة انسجام وتطابق وتكون النتيجة هى السواء والتوازن . والمرض معناه ان الذات أصبحت فى حالة جمود فاقدة لكل اتصال مع الخبرات الايجابية . والسواء هو عكس ذلك .

« ومفهوم الذات » يعمل كاطار مرجعى لتقييم وضبط وتنظيم الخبرات . وكل خبرة غير متسقة مع الذات يدركها

الشخص كتهديدات لحالة الاتزان عنده ، وبازدياد التهديدات تصبح بنية الذات اكثر تحجرا ودفاعية للمحافظة على كيانها كما يصبح مفهوم الذات أقل اتفاقا واقل انسجاما مع واقع الكائن الحى ويفقد اتصاله مع خبراته الايجابية .

ثالثا : تعديل السلوك من وجهة نظر الظاهراتية :

ـ 1 ـ **عموميات** : كل طريقة ظواهرية لتعديل السلوك هى أولا وقبل كل شىء حدسا للظاهرة المرضية المدروسة ، وادراكا لحياة وخبرات الشخص المريض المدروس والمعالج الظاهراتى يبحث عند المريض عن علامات مرضية موصوفة لكنه لا يريدها لذاتها بل يريدها كوسيلة بها يتمكن من حدس الاضطراب او الشذوذ او العصاب .. والحدس هو حدس ماهية الظاهرة المرضية الذى يعلو على حدس مظاهرها الخاصة . وهذا الحدس يجب ان يفهم كتحوير لاحد الابعاد الجوهرية للكيان الانسانى لان الظاهرة المرضية ـ بالرغم من غرابتها ـ تبقى مثلها مثل بقية الظواهر ظاهرة انسانية بحت ، ومن ثم فهى قابلة للفهم ، اى ان الظاهراتة المرضية تحيلنا الى ظاهراتية للوجود الانسانى .

تقول هذه المدرسة ، ان المرض النفسى هو ظاهرة وجودية وليس مرضا حقيقيا والمرض النفسى هو نتيجة لتعثر الشخص فى اداء دوره الوجودى أو فى تعامل وجوده مع الآخرين من ناحية وهو من ناحية اخرى قلق وجودى ناشىء عن شعور بعدم جدوى الوجود او بفراغه وتفاهته من هذا العالم .

والقلق عند هذه المدرسة هو « خوف من الموت يهدد الوجود » والشعور بالاثم ناتج عن « عدم استطاعة الانسان انجاز ما بامكانه » والاكتئاب هو « شعور بتوقف الزمن الذاتى » وهكذا .

ورأت استحالة الفهم بين المريض النفسى والمعالج وبالتالى قالت هذه المدرسة :

أ) بضرورة التقمص الانسانى بين المريض والمعالج قصد الاحاطة بأفكار هذا الاخير وبمشاعره وبعالمه الخاص .

ب) رأت استحالة العلاج بحدود التصنيفات والاسس التى أخذت بها بقية المدارس وقالت بأن العلاج النفسى الوجودى غير مرتبط بقوانين وأسس مضبوطة ، بل انه ليس متطورا وغايته السير مع المريض الى نقطة يدرك فيها معنى وجوده كحقيقة ، اى يدرك ويبصر .

ـ 2 ـ **منكوفسكى** : يقول : إن فهم المريض العصابى من طرف المعالج لا بد وان يكون فهما تلقائيا بسيطا وعاديا ـحدسيا ـ هو فهم الانسان العادى لظاهرة محيرة يستغربها ولا بد للمعالج من ان تكون ردود فعله ازاء هذه الظاهرة فى أول امره هى نفس ردود فعل الاشخاص الذين يعايشون المريض ، أى يكون مزيجا من العطف والرفق والاقناع والغضب .

ثم بعد هذا الفهم الاولى الطبيعى ، يقع رسم جدول بكل أعراض المرض وبترابطها مع قناعة المعالج أن هذا الجدول يعطى فكرة عن المرض لا عن المريض ، لان التشخيص لا لا يكفى وحده لفهم المرض العقلى ، كما هو الحال عندما يتعلق الامر بمرض عضوى لان أهم شيء هو ادراك المعالج

لحياة المريض من الباطن والاحساس بالمرض احساسا ذاتيا وفهم هذه الخبرة ـ لا باعراضها ـ بل بمعايشة كلية لها . ولا يكون ذلك بالاجابة على السؤال التالي : « أين يحدث الانفصال بين الحياة النفسية للمريض وبين حياتنا ؟ » لانه ما دامت الحياة النفسية للمعالج غريبة عن الحياة النفسية للمريض فان العلاج يبقى مستحيلا . وما دام المعالج عاجزا عن التوصل الى ادراك ما يميز كما وكيفا الحياة المعيشة من قبل المريض عن غيرها عند السوى فانه يبقى خارجا عن حياة المريض عاجزا عن فهمها وعن علاجها .

وهذا لا يعنى اعادة بناء الكون العقلى للفصامى من طرف المعالج ، وكذلك لا يعنى ضرورة أن يصبح المعالج فصاميا لفهم الفصام ، لكن هذا يعنى ان يكتشف المعالج وراء المعطيات الموضوعية ـ وبالارتكاز عليها ـ البعد الاساسي لوجود المريض الذى أصابه الاختلال بالاجابة على هذا السؤال الثاني : أى بعد للوجود الانساني للمريض أو لوجوده في عالم أصابه التصدع ؟ وفى صورة توصل المعالج حدسيا للاجابة على هذا السؤال فانه سيجد فى ذاته ، لا فى تشخيصه طبيعة هذا المرض .

ـ 3 ـ روجرز ، طريقة تقرير الذات وتقدير الذات :

العلاج الروجرزى يهدف الى تحقيق الانسجام والتفاعل والملاءمة بين الذات والكائن . والى جعل المريض يتعرف بوضوح على صورته الحقيقية ، لكى يتيسر له التطابق بين التركيبية التصورية لذاته وبين ذاته كخبرة وكموضوع . وهذا الفهم لذاته يجعله يتقبلها تقبلا غير مشروط .

ودور المعالج هو مساعدة المريض على ادراك خبراته

المتنافرة مع تركيبة ذاته ، ثم فهمها وتمثيلها وأخيرا اعادة تشكيلها من جديد تدرجا هذامن ناحية ومن ناحية ثانية اعادة تنظيم مفهومه لذاته لكى يتم الانسجام بينها وبين هذا التشكيل الجديد للخبرات .

وبالاعتماد على هذه المبادىء التى ذكرناها وضعت عدة أساليب عملية تطبيقية أهمها :

ـ أ ـ **طريقة تقرير الذات** : تتكون هذه الطريقة من عدد كبير من البطاقات وعلى كل بطاقة كتبت جملة ، من هذا القبيل « أنا شخص خانع » « أنا شخص مندفع » « أنا شخص محبوب » ، أو من قبيل « أقلق بسهولة » « أعمل بكفاءة » .

واذا أريد من المفحوص أن يصف ذاته فانه يطلب منه فرز البطاقات التى تصوره فى الآن وكما يعتقد أنه كذلك . وأن يرتبها بحيث تتراوح من الخصائص التى تكون اكثر انطباقا عليه الى أقلها انطباقا .

أما اذا اريد من المفحوص أن يصف ذاته المثالية ، عندها يطلب منه فرز البطاقات لوصف الشخص الذى يرغب فى أن يكونه ، مرتبا اياها تبعا لاهمية الخصائص التى يريد اكتسابها .

ـ ب ـ **طريقة المقابلة** : الهدف منها جعل الشخص يدلى بكل مشاغله ومصاعبه ومشاكله ، أى يدلى بذاته بكل صراحة وتلقائية ، وهذا لا يتوفر الا اذا تم خلق جو هادىء غير متوتر وغير مهدد يكف حالات القلق عند الشخص من ناحية ومن ناحية ثانية يبدى المعالج السماحة والتقبل والاهتمام غير المفتعل بالمريض ، حتى يجعله يتقبل ذاته كما هى ثم يؤكدها

أى أن مهمة هذه الطريقة هى تبصير المريض بالمكونات التى تحدد شخصيته وتحديد الشروط التى بها يتمكن من تعديل غير المرغوب فيها .

وقد تبين لمستعملى هذه الطريقة ان نتائجها لا تقل اهمية عن النتائج المتحصل عليها من اكثر اختبارات ومقاييس الشخصية دقة وتعقيدا ومن بطاريات الاختبارات ومن الفحوص الاكلنكية ومن التحليلات الاحصائية المعقدة .

ـ 4 ـ **أو سجود ، طريقة التمايز السيمائتى** : وهدف هذه الطريقة هو التعرف على المعانى التى يعطيها المفحوص لبعض الرموز والالفاظ ، اعتبارا ان لكل موضوع أو حدث .. ناحية ذاتية تتكيف بحسب الشخص الذى يتقبلها وبحسب حالته المرضية والصحية .

فى هذه الطريقة يقدم للمفحوص مفردة او عبارة ذات دلالة مثيرة مثل « أبى » أو « أنا » أو « ذاتى المثالية » ويطلب منه تقرير كم الاثارة الحاصلة من هذه المفردة أو العبارة وفقا لمقياس متدرج من سبع نقاط يتراوح بين حدين متناقضين مثل« قوى ـ ضعيف » « سار ـ محزن » « نشط ـ خامل » وأن يكون تقديره على اساس انطباق معنى المفهوم المتميز عليه .

ويقول صاحب هذه الطريقة : إنها موضوعية ومرنة ، لها قابلية بحث كل انواع معانى ومفاهيم الكلمات والعبارات ، كما انها قادرة على بحث التغييرات الحاصلة فى المعانى كنتيجة لخبرات او اجراءات خاصة بالعلاج النفسى مثلا .

ـ 6 ـ فستنجر ، نظرية الاتساق ـ التنافر المعرفى :

تقول هذه الطريقة ، ان اضطراب الشخصية وكل التوترات التي تطرأ عليها سببها تنافر معرفي . أي ان التضارب وعدم التناسق وعدم الانسجام بين مجموع المعارف المتحصل عليها الشخص تكون له تذبذبا وتوترا يصل به الى الاضطراب فمثلا الشخص الذكي والذى يعرف انه كذلك ، لكنه يعرف أيضا ان الفشل هو النتيجة المريرة لكل ما يقوم به . هذان الشكلان من المعرفة لا يتلاءمان تماما مع بعضهما البعض وبالتالى فهما متنافران ، وهذا التنافر هو الذى يخلق للشخص حالات القلق والتوتر الضاغطة وهذا يؤدى به الى العمل جاهدا على تجنبها أو على الاقل التخفيف من حدتها .

والمشاكل المنجرة عن عدم الاتساق المعرفى هذا لا تمس فقط المظاهر النفسية ، بل وايضا المظاهر الاجتماعية ، فمثلا عدم الاتساق بين المعتقدات الايديلوجية السياسية يخلق تنافرا معرفيا ، يخلق بدوره توترا ، يدفع الشخص ـ فى أحسن الظروف ـ الى الالتجاء الى تكييف هذه بتلك قصد تقليص حالة التوتر عنده .

اذن فان مبدأ التنافر المعرفى يتحكم فى الكثير من الظواهر النفسية والاجتماعية ، وهذا التنافر المعرفى اذا لم يقع تجنبه ببعض الحيل النفسية يتسبب فى اهم اضطرابات الشخصية ، وتعديل السلوك المرضى بالنسبة لفستنجر يتمثل فى السعى للاتساق المعرفى بالتقليل من التعامل مع المعارف المتضاربة والمتباينة على الصعيد النفسى والاجتماعى .

ـ 7 ـ **جورج كيلى** : تعتمد هذه الطريقة على استبصار الشخص لخبراته الذاتية وتجاربه ، فهو الذى

يصنف هذه الخبرات ويكشف عنها ـ أو يكتشفها ـ بدلا من الافتراضات والاستنتاجات التي يحاول بها المعالج تفسير المرض .

وهذهالطريقة بدلا من النظر الى الشخص على أنه ضحية لنوازعه وميوله وغرائزه تنظر اليه كخالق نشط لافعاله وهو وحده الذى ينظم سلوكه وابعاد هذا السلوك .

ويقول كيلي : إن الانسان هو عالم نفسه الوحيد ، اى أنه هو الوحيد القادر على دراسة نفسه بتحليل سلوكه وبتصنيفه وبتفسيره وبالحكم عليه . ويقول : إن الاشخاص الذين خضعوا للقياس بواسطة علماء نفس ومعالجين هم أنفسهم اخصائيون في القياس والاختبار والتقييم والتقويم وأن كل تشكيل لسلوك هو من انجاز جماعي يقوم به كل الاشخاص بصرف النظر عن اختصاصاتهم ومشاربهم .

فمثلا حينما يصف الذهاني أفكاره في المرض وفي العلاج ويقدم المعالج اقتراحاته في هذا المرض ، ونوعية علاجه ، وبالرغم من أنها دائما تكون متناقضة مع تصورات الذهاني ، لكن هذا لا ينفي أن كلا الشخصين يمثلان البيئة داخليا ويعبران عن تمثيلاتهما وخبراتهما الذاتية وفي تكويناتهما السيكولوجية .

ويقول كيلي : إن المعالج النفسي يطالب بالوضوح حول افكاره وحول الظواهر التي يريد دراستها ومعالجتها لكنه ـ وهذه افدح غلطة ـ يعتبر الشخص الذى يقوم بعلاجه على أنه ضحية غير واعية بالقوى التي تتلاعب بها وتتسبب لها في هذا المرض . كما أنه يؤكد على عجز الذى يعالجه

عن الفهم والضبط والوعـــى والتنبؤ باحداث حياتـه والتحكم فيهـــا .

ويقول : لكـــى نتمكن من اعطاء العلاج المناسـب الفعـال للمريض علينا ان نفهم نظريتـه الشخصية فـى الشخصيـة وذلك بدراسة تكويناته هو الشخصية ، والمراجع السلوكية التى تدل عليها . فالمعالج ليس فى امكانه أن يفهم ماذا يعنى المريض بقولـه « اننـى لسـت شخصـا صدوقـا » الا اذا أعطاه أمثلة سلوكية فــى هذا الصدد . ثم ان المريض وأثناء دراسته من قبل المعالج ، يقوم هــو بدوره بدراسة نفسيـة المعالج ـ وفى نفس الوقت ـ .

ويقول كيلى بالتبادليـة البناءة وهـــى : بينمـا لا يكـون الانسان دائما قادرا على تغيير الاحداث فانه يستطيع تصنيفها وتشكيلها وباستمرار بطرق مختلفة .

وبدلا من ان يعتبر كيلى الانسان علـــى أنه مالك لسمـات ثابتة وعامة ، فهو يعتبره قادرا على لعب ادوار متنوعة ومتعددة وعلى أنه قادر على التغير المستمر ، اى ينفى السمات الثابتة والعامــة .

ويقول ان المعالج ليس فى حاجة لفهم موانع أو دوافع هذا السلـوك أو ذاك ، كمـا انه ليس فـــى حاجة الـى نظريـات وفرضيات ومفاهيم لتفسير هـذا السلـوك أو ذاك ، لان كل شخص هـو كذلك لا لاى سبب عدا كونه يعيش الحياة ، أى ليست له طبيعة انسانية وان كل انسان « هو مـا يفعلـه » « وأن الانسان هو ما يصنعه فى نفسه وما يدركه فى نفسه ».

الفصـــل الثـــالـث

نظريات علم النفس في الشخصية

① الشخصية وتعديـل السلـوك من منظـور التحليـل النفسي 85

② الشخصية وتعديل السلوك من منظور السلوكية 101

1 ـ الشخصية وتعديل السلوك من منظور التحليل النفسى

أولا : قضايا عامة :

التحليل النفسى هو أول من أعطى تفسيرا نفسيا لامراض العصاب ، بعدما كان التفسير ـ بعد تجاوز التفسير السحرى ، الماورائى ـ عضويا بأن رده الى صراعات لا شعورية داخل الفرد تكون نتيجتها الاعراض المرضية ، اى نقل أسباب الاعراض من الخلل العضوى الى التصدع النفسى ، ومن العلاج ـ بعد تجاوز رفض المريض ـ بالعقاقير والادوية الى العلاج النفسى البحت أى أن التحليل النفسى نجح فى تقديم تصور او نسق جديد للمرض النفسى .

هنالك بعض القواسم المشتركة بين كل المحللين النفسيين وهى أن الاعراض ليست سوى مظاهر سطحية تخفى من ورائها اضطرابات أخطر هى التى يجب أن يتجه لها العلاج .

لكن كل محلل نفسى يحدد هذه المشكلة من منظوره الخاص .فعند فرويد هى مشكلة متعلقة يكبت التطور الجنسى فى مرحلة الطفولة المبكرة وعلى المحلل أن يكتشفها من خلال تاريخ الشخص ومن خلال تحليل أحلامه ومن خلال التداوى الحر ، دون اهتمام بخبراته الاجتماعية وأن دور المحلل النفسى هو تشجيع الشخص على الاستبصار بمشكلاته لان

الاستبصار بها كفيل وحده لتشكيل السلوك من جديد وتلقائيا وعند أدلر وبونغ وهورني وكلاين وغيرهم طروحات أخرى سنتعرض لها كلها فى الابان .

يأخذ المعارضون للتحليل النفسى ، عليه ، ان كل مفاهيمه عامة وفضفاضة ، ومن الصعب تحديدها تحديدا علميا ، وادخالها المخبر قصد التثبت منها موضوعيا وتجريبيا وكلها بنيت على قصص توهم الشخص استرجاعها ، او على تفسير الاحلام وما سار فى هذا المسار .

ثم ان التشخيص فى التحليل النفسى لا يهتم بالاعراض بل يتخطاها باحثا عن اسبابها من عقد ومركبات الخ .. يقول ايزنك : « بدلا من الشياطين والعفاريت مركبات أوديب واليكترا » .

ثانيا : المنظرون الأساسيون :

المبادرون :

– 1 – **هربرتا :** قال بثلاثة مستويات للشعور وهى ، والمستوى الثانى يحتوى على أفكار معتمة وغير واضحة والمستوى الثالث يحتوى على الافكار التى أرغمت على الخروج من مستوى الشعور بسبب الكف او الكبت ، لكنها لم تعدم بل هى مخزونة ومن الممكن عودتها اذ توفر لها شرطان وهما : ضعف الافكار المعارضة لها والمتسببة فى ابعادها ، أو بتحالفها مع أفكار من طبيعتها ومخزونة مثلها ، بحيث تتمكن هذه القوى المتحدة من التغلب على نفس المقاومة التى هزمتها من قبل .

ويقول : إنه خلال نمو الشخص تكتسب بعض الافكار ذات الطبيعة الموحدة سيطرة دائمة على غيرها . وتمنع كل فكرة ليست من طبيعتها من الدخول الى دائرة الشعور ، فتكون هذه الاخيرة ما يشبه اللاشعور .

وكل الافكار الشعورية واللاشعورية هي قوى دينامية نشيطة .

« والانا » هي مجموعة من الافكار تظل ثابتة في كل العمليات الشعورية مثل « أنا أفكر » « أنا أحس » « أنا أشعر » .

ـ 2 ـ **كولبيه** : أول من قال بسيطرة الحياة المبكرة على مجرى بقية الحياة . كما أنه أول من قال بارتباطات وثيقة بين عناصر تنتمي الى اهتمامات متباعدة ، فمثلا بعض الاصوات أو النغمات الخ .. التي تستثيرها دائما صور وافكار ذات طبيعة معينة .

ـ 3 ـ **وات** قال : إنه في الكثير من الحالات يستجيب الشخص المفحوص لا شعوريا لمنبه ما يوجه اليه على شكل سؤال مثلا معنى ذلك أن كل انواع الخبرات تكون مخزونة ويتم استرجاعها عند الحاجة أو أنها توجه أنشطة الشعور بطريقة غير مباشرة وقد ضرب بعض الامثلة ، منها أن الشخص الذي يحسن عدة لغات فهو حينما يتحدث بلغة منها فان الكلمات المناسبة تأتي بتلك اللغة لا بغيرها ، أو أن العازف لقطعة موسيقية يكفيه أن يقرأ مرة واحدة مفتاح القطعة التي سيعزفها ، ثم ينهمك في العزف الحاد أو المنخفض أو الطبيعي تبعا لمضامين ذلك الدليل . وهذه الظاهرة شبيهة بما يسمى بالايحاء بعد التنويمي .

المؤسسون والمنظرون :

ـ 1 ـ **فرويد** : الفرويدية أو التحليل النفسى هى فرضية فى علم النفس وفى الامراض النفسية والعقلية وطريق فى العلاج جمع فرويد عناصرها عن طريق شاركو وجنات وبيرنهايم وبروير . وأتبعها الكثير من بعده بتعديل **أدلر** ، **يونق** ، **رانك** ، **رايخ** ، **فرنزى** ، **هورنى** ، **فروم** .

وتعتمد هذه الفرضية على أساس فكرة اللاشعور الدينامى أى أنها تعتبر أن ثمة قوى بالعقل تستمد عناصرها من الغريزة الجنسية أو الليبدو دون أن يشعر الشخص بذلك وتدأب هذه القوى بطريقة مسترسلة فى البحث عن منافذ تعبر بها عن وجودها . وبسبب الموانع والدوافع الاجتماعية والاخلاقية فانها تعجز عن التعبير المباشر فتعبر بطرق ملتوية وغير مباشرة تتمثل فى الامراض النفسية والعقلية والنسيان والهفوات الخ .. وأهم عناصر التحليل النفسى هى :

أولا : مكونات النفس من « الهو » وهو الحقل المظلم المجهول من جهاز النفس وهو تحت سيطرة الليبدو وبقية الدوافع الغريزية وكل ما يعرف عنه هو بواسطة امراض العصاب ومضامين الاحلام . ومن « الانا » وهو الشعور الواعى الذى يراقب نشاط « الهو » ويكفيه حسب مقتضيات المحيط ومعطياته . وأخيرا من «الانا» الاعلى وهو الضمير الخلقى الناتج عن امتصاص أوامر ونواهى الابوين بصفة خاصة وكل

المحظورات الخلقية والدينيــة والقوى القمعية التــى تعترض طريق الشخص فى مراحل نموه بصفة عامة .

ثانيا : اللاشعور ويتكون من مجمل العمليات النفسية التى تحدث دون شعور الشخص بها لعدم عبورهــا مــن قبل فى الحقل الشعورى ، كما يتكون من الليبدو . وهــذه العمليــات المخزونة تحدث عن طريق الكبــت أما بسبب عــدم ملاءمتها للمبــادىء الدينية والاجتماعية والاخلاقية المتفق عليها أو لمــا تسببه من شعور للشخص (مثل الرغبات الجنسيــة : عقدة أوديب التــى يوجه فيها الابــن رغباته الجنسية نحو أمــه ، وعقدة الكترا التــى توجه فيها الابنة رغباتها الجنسية نحــو أبيها ، والرغبات العدوانية ، والخبرات الانفعالية المؤلمة ..) ويتكــون اللاشعور بداية مــن طور الرضاعــة ، واللاشعــور ينحرف بالتفكير والسلوك بجعــل الشخص يقــوم بأفعــال يرغب فــى القيام بها أو يجعله يعجز عن القيــام بأفعال رغم رغبته فى القيام بها .

ثالثــا : ما قبل الشعور او تحت الشعــور وفى العمليات العقلية التى يكون الشخص فيها على وعــى ضبابى بها لكــن باستطاعته الشعور بها عندما يركز انتباهه عليها ، ولا تصبح هذه العمليات تحــت شعورية الا باسترخــاص مــن اللاشعور

رابعــا : يعتقد فرويد أن الاحلام تعبر عــن رغبات جنسية ومشاعر مكبوتــة لم تشبع منذ الطفولــة المبكرة وان هدف الاحلام هو اشباع هذه الرغبات والمشاعر بطرق تعويضية . وهو يعتقد بأن للحلم مضمونا صريحا وآخر كامنا ، والمضمون الصريح هو الحلــم كما يسترجعه الشخص وامــا المضمــون

الكـامن فهـو المعنى المخبأ فى طياته وهو يعتقد أن الاحلام هى الطريق الملكى المؤدى لاكتشاف اللاشعور . وفرويد يعتقـد أن الحلم لا ينبىء بمستقبل الشخص بل يعطى صورة واضحة عن ماضيه . أما كيف توصل فرويد لهذه النتائج ، فانه ربط الاحلام بالرغبـات اليومية ، فمثلا أكـل فـى احـدى المرات انشوفة (وهى نوع مـن السمك) لكى يعرف تأثيرهـا على أحلامه وقد تبين له فى احداها بانه يشرب ماء وانطلقت تجاربه وفرضياته عن امثالهذه التجربة قائلا بأنالاحلام هى الطريق الملكى لتشخيص العصـاب وبعض اعراض الذهـان . قصد التوصل الى علاجها .. ووضع بيانا لرموز بعض الاحلام ولما تشير اليه من رغبات مكبوتـة ومن معان مخفية (فالملك رمز الاب والثعبان رمـز للذكورة والحجرة رمـز للانثى ..) لكن تبين له فيما بعد أن هذه الرموز غير صحيحة .

خامسا : وسائط الدفاع : وهى عمليات لا شعورية الغاية منها التخلص من الميول والرغبات الغريزية منهـا وما ينتـج عنها من قلق بسبب الخوف من القيـام بها وأهمها التبريـر والنقل والنكوص وأعراض الامراض النفسية والعقلية .

وفرضية التحليل النفسى عن الامراض العقلية والنفسية واهمها العصاب تتلخص فيما يلـى : انـه اثنـاء تطور النمـو الجنسى الذى تمر فيـه الطاقـة الجنسية بمراحـل متعددة (المرحلـة الفمية أو قبـل التناسلية) ، المرحلـة الساديـة الشرجية أو مرحلة الكمون ، المرحلة الجنسيـة النـاضجة أو التنأسلية) يقع خلل يعرقل تطور مرحلة من هـذه المراحـل (وخصوصا الاولى) فينتج عن ذلك تثبيت اللبيدو ، وينتج عنه تطور غير سوى للجـانب الجنسى من الشخصية ، تنتـج عنه

حياة انفعالية غير ناضجة . واعـراض العصاب مثلا هـى من ناحية محاولة لاشباع حاجة طفلية بواسطـة الرمز وهـى من ناحية ثانية تسليط عقاب علـى الشخص لتفكيـره فى مثل هذا الحـل اى ان هذا العقـاب هو نتيجة للاحساس بالذنب .

ثم ان فرويد يعتقد ان الحياة الدينية هى شبيهة بالحركات التى يقوم بها المرضى بالعصاب ، فالعبادات التى يبرهن بهـا المؤمن عن ايمانه هى مجرد اجراءات حمائية ، دفاعيـة ، اى أنها مجرد اعراض عصبية وبالتالى فانه يعتبـر أن مـرضى العصـاب هو تدين فـردى وبأن الدين هـو مرض عصابـى وسواسى جماعى ـ أو اجتماعى ـ لا بد من معالجته . ويعتبر ان الابداع الفنـى هـو تعذر لاشباع الرغبات الجنسيـة فـى الحياة الواقعية يتحول الى عملية خلق وابداع فنى ، فالفنان هو عصابى ايجابـى يستعمل الفن لتهدئـة حاجياته التى لم يرضها ، والفن هو مجرد تحقيق وهمى ـ كالحلم ـ لرغبـات مكبوتة .

كما حاول فرويد تبيان أن المحرم هو دلالة مزدوجة مـن الرغبة والرهبة ومن الكراهية والحـب . فالمحرمـات التـى فرضها المجتمع على أعضائه او التى فرضها الشخص علـى نفسه هى فـى جوهرها رغبة مكبوتـة هدفهـا اتيان الفعـل الممنوع فالملوك ـ مثلا ـ محارم لانهم يمثلـون موضوعـات لاتجاهات عنيفـة من التناقض الوجدانى . فهم مواضيع حب واحترام من جهة ، ومن جهة ثانية مواضيع رهبـة وكراهية . وهذا الشعور المتناقض ، المتذبذب يهدف الـى التقليل من سلطة الملك للتقليل مـن الخوف الـذى هو مبعثـه . وكل الاحتفالات والطقوس التى تحيط بها قصد الرفع من منزلـة

الملك ، تناظر الافعال القهرية لدى العصابيين . وقد ارجع محرمين هامين للمجتمع الطوطمي ، وهما تحريم أكل الحيوان الطوطمي وتحريم الزواج الداخلي ، الى عقدة أوديب ، وهي الرغبة في قتل الاب قصد الزواج من الام .

ـ 2 ـ **كارل يونغ :** يعتبر أن « الليبدو » هو المجموع الكلي لمجموع مكونات النفس ، وهو ما يعادل « الدفعة » ، أو « الدفقة الحيوية » عند بعض الفلاسفة . كما يعتبر ان اللاشعور هو حالة تشترك فيها الانسانية قاطبة ، وقد أسماه « اللاشعور الجمعي » وقال بانه يضم « الانماط القديمة » التي تترجم عن المفاهيم والحاجات والطموحات البدائية للبشرية . كما يضم اللاشعور الشخصي الذي يعتبرمن أحد مكوناته . ويقول : إن للاحلام وللرموز دلالة « وظيفية » « ومادية » فهي أولا تشير الى الميول والدوافع ، وثانيا الى الموضوعات المادية بما فيها الاشخاص .

كما وسع يونغ في مفاهيم فرويد ومطط في ابعادها ومضامينها ، فهو مثلا يعتقد أن الاساطير ليس في امكانها أن تعبر مباشرة عن الرغبات او العقد الخ .. بل هي دائما ذات طبيعة « رمزية » فمثلا صورة الاب في الحلم قد ترمز الى شيء أشمل وأعم كالسلطة والقوة ، فاسطورة أخطاء الاب ترمز بالاساس الى انهزام حضارة ما .. اى الرموز هي دائما وظيفية وذات دلالة ، وتكشف عن فاعليات واتجاهات « الليبدو » .

ويقول بأن العصاب ينشأ من الاندفاع والالحاح في خواص الطباع ، أو من محاولة مقاومتها .

ـ 3 ـ **أدلـــر** : أهم ما يميز فرضياته هو التأكيد علـى تأكيد الفرد لذاته وتفوقها علـى ذوات الآخرين وخوفـه مـن الدونية . فكـل شخص لا بد وأن يتأثر فـي طفولته الاولـى بعجزه التام عن مواجهة المحيط الـذى يعيش فيـه . وينمـو هذا الاحساس بالعجز وبالضعف ويكبر مع الشخص ويلازمه طوال حياته . ومن هنا يكرس كل طاقاته وامكاناته للنضـال من اجل التفوق كتعويض لذلك الاحساس بعدم الكفاءة والنقص وهو يعتقد ان ارادة القوة هـى الطاقـة الدافعـة ، أو الدافـع الغريزى الانسانى الوحيد فى كل تصرفاته وطموحاته .

ونظرا لان الانثى هي الاضعف في السلالة الانسانية فهـى تتخذ دوما موقف التابع ، وهى تحاول لا شعوريا وفـى بعض الاحيان شعوريـا أن تتخذ شكـــل « رغبة مبالغ فيهـا فـى الذكورة » او « الاحتجاج الذكـرى » والعديد مـن تصرفاتهـا تبرز ذلك .

ثم ان كل شخص يتميز بنقاط ضعف أو دونية جسديـة أو عقليـة ، وفـى صـورة تحديده لنقاط ضعفـه هـذه فـان اتجاه بحثه عن القوة يتمركـز بالخصوص بمحاولات تعويض لتلك « الدونية العضوية » كما سماها . وقد يتغلب الشخص على « دونيته » بتحويلها من نقطة ضعف الـى نقطة قوة من خلال التدريب المتواصل الصارم أو أن يلجأ الى ميدان علم النفس قصد التمكن مـن فهم طبيعة عقد النقص عنده وعنـد الآخرين ، أو ان يبذل جهودا فائقة لكى يبرز فى ميدان مـن الميادين بعد ان فشل فى ميدان كان يرغب فى النجاح فيه . أو ان يحتمى الشخص بمرض عضوى أو بعصاب ليبرر به عدم نجاحه واخفاقاته فـى التغلب على دونيته خالقا لنفسـه وهمـا

حياليا فى صــورة انجاز كبير سيحققه عندما تتهيأ الظروف المناسبة لذلــك ، أو ان يلجـأ الشخص الــى السقوط فـــى « دونية » أكثر متخيلا نفســه تافها لا قيمــة له اى مستبدلا دونيته الطبيعية بدونية اصطناعية اكثر إيلاما .

ـ 4 ـ **كارين هورنـــى** : قالت بأن الانهيارات العصبية والامراض العصابية فى المجتمع الامريكى هى نتيجة لضغوط اجتماعية قاهرة ، ومن بين هذه الضغوط نجد هذا التناقض بين التقدير اللامشروط لكل سلوك عدوانى تنافسى على كــل ما هــو مادى وبين هذا الشعــور الغريــزى للامــن والمودة والتعاطــف الــذى لا يستطيــع أى فرد مهمــا كــان أن يحيا بدونـــه .

وان القلق الاساســى ناتج عن شعور بالعجز تجــاه عــالم مشحون بالعداء وشعور بفقدان الضمان ، ممــا يتسبب فـــى عدة أنواع من العصاب (القلق نحو القوة ونحو السلطة ونحو العطف والحب ونحو الرضوخ والانسحاب) والدور الاكبــر فى ذلك يلعبــه المحيط والثقافة المسيطرة علــى السلـــوك البشرى ولا تلعبه المشاكل النفسية الشخصية ، والعصـــاب هو مفهوم ثقافى ، لان كــل بيئة وكل وسط يفسر الشذوذ حسب معتقداته ومفاهيمـــه .

ـ 5 ـ **تيدور رايــك** : اعتبــر أن اللاشعــور هو جهــاز استسلام للحوافز النادرة فوق الحسيــة كالتخاطر والتلباثى وان العصاب هو نتيجة لفقدان الثقة .

ـ 6 ـ **أوتورانـــك** : اعتبر أن عملية المخــاض هــى أول صدمه أو شــدة نفسية . وهــى منبع للقلــق . لانهــا تجعــل

الانسان يفتقد الضمان الذى وفره لـه رحم أمه . وان الارادة هى العامل الجوهرى فـى تكوين الشخصيـة وان اضطراب الارادة ينتج عنه الشعور بالذنب . والشعور بالمسؤولية هو الضمان الوحيد للصحة النفسية .

ـ 7 ـ **ايريخ فروم** : يقـول : إن الانسان كـان متحدا مـع الطبيعة والمجتمع ثم انفصل عن الطبيعة وأخيرا انفصل عـن المجتمع للتطابق معها (وهذا هو الحل الشائع) أو تحقيـق ذاته بوصفه فـردا (وهذا هو الحـل الخلاق) أو التمرد عليهـا باطنيا والتطابق معها ظاهريا (وهذا هو الحل العصابى) .

ولكـــى يتطابق مـع المجتمـع يستعمـل الشخص عـدة « ميكانزمات » نفسية هـــى :

ـ أ ـ التصرف المازوشى وهـو الاحتياج المرضـى الـى الحنان والشعور بالدونية والقصور والحاجة الملحة للاعتماد على الغير فى خنوع ومـذلة . وهذا التصرف يتقنع بقنـاع التفانى والولاء الزائف .

ـ ب ـ التصرف السادى ، وهو تصرف عصابى يعبـر عن نفسه بوسائل متعددة منها الرغبة فـى أن يعتمد الآخرون عليه ، وفى استغلالهم وتعذيبهم جسميا وعقليا ونفسيا .

ـ جـ ـ النزعة التدميرية ، وهى محاولـة للقضاء علـى كل تهديد ممكن ولســان حالها : « لا استطيع الهـروب مـن الشعور عند المقارنة بينى وبين العالم الخارجى الا بتدميره »

ـ د ـ المطابقة الآلية : وهـى حيلة لازالـة الاختلافات القائمة بينه وبين الآخرين بأن يكون نسخة طبق الاصل منهم وبهذا يتحاشى الشعور بالعجز .

ـ 8 ـ **هارى سوليفان** : قال : إن الشخصية ترتكز على حاجيتين رئيسيتين : الحاجيات البدنية وحاجيات الامن والاطمئنان . وعدم اشباع هذه الحاجيات ينتج عنه القلق ، وأكد على أهمية التعاطف وتقمص شخصية المريض من طرف المعالج لان أهم شيء هو العلاقة الانسانية التى تبرز بينهما . ولان الانسان هو نتيجة تفاعله مع الغير .

ـ 9 ـ **ايريك بيرن** : يقول تتعايش عند الشخص الواحد ثلاث شخصيات مع بعضها البعض وهى :

ـ أ ـ شخصية الوالد ، وهى حصيلة ما انطبع عند الشخص من تصرفات والديه ، ووظيفتها اعداده للقيام بواجباته فى مستقبل حياته .

ـ ب ـ شخصية الطفل وهى حصيلة ما مر به من تجارب خارجية وباطنية ووظيفتها مساعدة الشخص على حب الاستطلاع والرغبة فى المعرفة وفى الابتكار ولذة الاستمتاع بالحياة .

ـ جـ ـ شخصية الراشد (البالغ) وهى تزاوج بين شخصية الوالد وشخصية الطفل ووظيفتها معالجة الواقع معالجة عقلانية .

والامراض النفسية هى اختلال التوازن بين هذه الشخصيات الثلاث ، اى أن الاختلال يعيق التكامل السلوكى للشخص .

ـ 10 ـ **ارثر بانوف** : يقول : إن سبب العصاب والذهان هو تعرض الشخص أثناء طفولته لصدمة واحدة لكنها صاعقة ، أو لتراكم الصدمات المتتابعة على مدى سنوات .

وهذه الصدمة هى شعور الطفل بانه غير مرغوب فيه وغير محبوب اى بانه مرفوض من والديه (احديهما أو كليهما) فينهار تبعا لذلك وعيه بذاته وبمشاعره وتتشوه ادراكاته لذاته ولواقعه ولمحيطه فيرغم على العيش فى عالم من الاوهام والمخاوف .

ثالثا : تعديل السلوك من وجهة نظر التحليل النفسى :

ـ 1 ـ **فرويد** : يتكون العلاج بالتحليل النفسى بصفة رئيسية من نقطة التثبيت بالليبدو وهذا لا يمكن عمله الا بالتحايل على المقاومة اللاشعورية والتغلب عليها للوصول الى الحالة النفسية الكامنة والمكبوتة فيه واخراجها الى الشعور وبانتقال هذه الحالة من الباطن الى الظاهر تنقطع الحالة المرضية ، ويحصل ذلك عن طريق التداعى الحر للافكار التى تخول للشخص استدعاء بعض الذكريات المنسية . وبتحليل الاحلام بتفسير رموزها وصورها وبتأويل الافعال الخاطئة والافعال (اللاارادية والاحاديث العفوية كل ذلك قصد اعادة بناء تاريخ الشخص من جديد والكشف عن الحوادث التى كانت سببا فى هذه الحالة المرضية أوتلك لكى يتمكن المريض من الاستبصار والتحويل .

تكون الجلسات بمعدل (4 ـ 5 مرات) فى الاسبوع ولمدة (50) دقيقة لكل جلسة ويستمر العلاج سنتين وقد يتجاوزهما الى أربع . تبدأ جلسات التحليل والعميل متمددا على ظهره على أريكة فى وضع استرخاء تام .

ويجلس المحلل خلفه بعيدا عن نظره ويكون دوره فى الكلام متقلصا جدا . فهو لا يتدخل معلقا أو مستفسرا الا نادرا واضطرارا . اى عندما يكون متيقنا أن تدخله هذا يمس مباشرة المشاكل المتسببة فى حالته العصابية ، فهو يكتفى بقيادته باسلوب غير مباشر نحو لا شعوره .

يعتمد التحليل النفسى الفرويدى بالاساس على التفكير الاسترسالى الحر بصوت مسموع . وللعميل كامل الحرية فى أن يتحدث فى اى موضوع أو خاطرة او فكرة يستحضرها دون خجل . ومن المستحسن هنا أن يتمحور الحديث حول حلم تراءى قبل ليلة أو أكثر . ويسترجع الحلم بحذافيره أو بتحويرات طفيفة .

ويقول فرويد : إن الاسترسال الحر فى الكلام ، بالرغم من الصعوبات ذات الطابع الاخلاقى بالاساس التى تحد من تدفقه ، مثل الافكار المعينة أو القبيحة أو المشبوه فيها فانه يكشف الكثير من المضامين المكبوتة ويطلقها من مخابئها والخطر كل الخطر هو اعتبار المحلل من طرف العميل فى مقام أحد الوالدين فيحول بالتالى كل انفعالاته وعواطفه السلبية نحوه . لكن هذه الحالة لا تدوم ، لانها لو دامت لفشل العلاج .

وبتواصل تفريغ مضامين اللاشعور الى الشعور ، يتطهر اللاشعور تدريجيا ، وتبرز للعميل مسببات مشكلاته شيئا فشيئا . ورويدا رويدا يتمكن من السيطرة عليها والتعامل معها علانية ، ثم تشكيل سلوك سوي سليم ، وهنا حلول الوسط لا تنفع العميل فى شىء .

ـ 2 ـ **يونغ والعلاج النفسى التحليلى :** تمكن يونغ من تفسير العديد من المظاهر ـالتى اعتبرهـا ـ غريبـة والتى لها مساس بالغيبيات والتصوف والماورائيات باستعماله لمـا أسماه بالعقل السلالى وهو يعتقد أن المرض النفسى ظاهرة تكافح داخل اللاشعور السلالى فـى سبيل حياة اكثف ووعى أسمـى .

وطريقـة يونغ فـى العلاج تختلف بعض الاختـلاف عـن طريقة فرويـد ، وينحصر هذا الخـلاف ، او الاختـلاف فيمـا يلى ، نظرية يونغ العلاجية لا تهتم كثيرا بتجارب الطفولـة ، كما أنها تعتبر الحلم بمثابة تعبير مباشر وكامل للاشعور اى انه ينفى عنه الرمزية .

تعقـد الجلسات العلاجية مرتين فـى كـل أسبوع وعلى امتداد حـول كامل ـ يزيـد قليلا أو ينقص قليـلا ـ تبعـا للحاجة وللظروف . العميل لا يستلقى على أريكة ، بل يواجه جالسا المحلل النفسى ، مشاركا اياه الحوار . مستغنيا فـى أغلب الاحيان عـن استعمال تداعـى الافكار الحرة ، المحلـل يركز اهتمامـه على الاحلام أولا وعلـى الاحداث والمشاغـل الحالية اليومية ثانيا ، متجاهلا الذكريـات الطفلية والتجارب المكبوتة . بايجـاز العلاج اليونغى هـو أقـرب ما يكون الـى القراءة وفـك الخط وابعـد ما يكـون عن التحليـل وسبر الاعماق .

ـ 3 ـ **أدلر :** هذا النوع مـن العلاج يبحث أولا عن نقـاط الضعف وعن العقد الحائلة دون تطور الشخص ، وعن مشاعر الشخص تجـاه نقاط ضعفه وعقـده . ثم يساعده ـ بعـد أن

يكشفها ـ على التغلب عليها أو تعويضها بغيرها . أو ـ وهـذا أقل ما يفعله ـ اقناع الشخص بعدم تضخيمها والمبالغة فيهـا الى درجة جلد النفس واحباطها .

هـذا النوع مـن العلاج يخاطـب الشخص بواسطة عقلـه الواعي فحسـب ليرشده ، أو لينبهـه الـى مواطن ضعفـه ونواقصـه وطموحاتـه ، ويعلمـه كيف يثبت ذاتـه ويمتـن شخصيتـه ويرضي تطلعاته ، بعد أن يجعلـه يشعـر بأنه لا يزال يتحكم في كل فاعلياته وطاقاته وقابلياته وبأنه لم يفقد القدرة بعد علـى تجاوز ذاته قصد العلو بها .

بايجاز هدف العلاج الادلري هو أولا العمـل على اكتشاف « اسلوب حياة المريض » أي كيف يرى عقد نقصه ، وما هو تصوره العام للتعويض . ومن هنا على المحلل أن يرجع الى حياة الشخص الاولى ويكتشف كيف تكونت عنده « دونيته » ثم بمعية المريض تم اعتماد أساليب تعويضية تساعد المريض على تجـاوز « عقد النقص » المعيقة عنده . وبنـاء شخصية جديدة أقرب ما تكون الى السواء .

2 ـ الشخصية وتعديل السلوك من منظـور السلـوكية

أولا : قضايا عامة :

ترتكز الاساليب التي تستخدمها السلوكية على شعار من ثلاث كلمات وهي (هذا) و (هنا) و (الآن) . اما (هذا) فهو العرض (خواف ، قهار ...) وأما (هنا) فهو خوف من الموتى .. (اكتئاب منجر عن موت عزيز الخ .) وأما (الآن) أى في الساعة الراهنة وليس بالرجوع الى السنوات الاولى من الطفولة وبدون التركيز على اعادة بناء تاريخ الشخص النفسى وبدون اهتمام بفرضية القوى والدوافع والليبدو واللاشعور .. الخ .

السلوكيون كلهم ينظرون الى المرض النفسى على أنه تعلم خاطىء مكتسب ولعلاج هذا التعلم الخاطىء لا بد من ازالةاعراضه الظاهرة . لان هذه الاعراض الظاهرة ليست سطحية فحسب بل وأيضا لا تخفى وراءها أعراضا أعمق وأخطر . لانهم يعتبرون ان العلاج يختلف جذريا عن التحليل النفسى . والعلاج بالنسبة لهم هو تعديل لسلوك شاذ أو مضطرب أو عصابى .. بارجاعه الى سلوك عادى اجتماعى وهم يلتزمون لا فقط بتحديد هذا التعلم الخاطىء بل بتحديد السلوك السوى الذى يجب أن ينهجه الشخص وذلك بوضع خطة علاجه يسهرون على تنفيذها يقول ايزنك : ترى

نظرية العلاج السلوكى بأنه لا توجد امراض وراء الاعراض الظاهرة « فالاعراض هى المرض » فجوانب القلق التى تتملك الناس ، وحالات الاكتئاب والوساوس القهرية وكل الانفعالات والمسالك العصابية لا تزيد ـ وفق هذه النظرية ـ عن كونها استجابة شرطية انفعالية ، او ردود فعل لتلك الاستجابات المشروطة ... « ويكون العلاج فعالا ان استطعنا التخلص من تلك الاعراض ، فان أنت تخلصت من العرض تخلصت من المرض » .

وهذا النوع من العلاج كما قال احد علماء النفس قد يصلح للاضطرابات ذات المصدر الخارجى الذى يمكن ملاحظته ثم تشكيله (المخاوف مثلا) لكن لا فاعلية له اذا كانت مصادر الاضطرابات غير ملحوظة (مثل الاكتئاب ، والقلق ، والشعور بالاغتراب ..)

بعض النظريات السلوكية تقول بان لكل شخصية ثوابت ومتغيرات . فأما الثوابت فهى غير قابلة لا للتغير ولا للتشكيل وأما المتغيرات فهى وحدها القابلة للتغير .. وهذه المتغيرات ليست نفسية بل هى اجتماعية وكل ظاهرة اجتماعية هى مجرد غطاء واه او طلاء سطحى .
والسلوكية تعتبر بان الانسان « أجوف » من الداخل عدا عمليات الربط الآلية بين حزمات منالاستجابات لمثيرات وتقول بتلازم مفروض بين كل العوامل المتغيرة والسلوك الفردى الراضخ لهذا التلازم .

تعديل السلوك هو أسلوب « لا تاريخى » أى انه لا يهتم بتاريخ الشخص ـ مضطرب الشخصية ـ ولا بخبراته

الطفوليـة التى مر بها . أو متـى تعود علـى هذا الاضطراب السلوكى المتسبب له فى المتاعـب . بـل إن ما يهتم به هـو الاعراض الحالية ، المعيشية ، القابلة للملاحظـة . وكما يهتـم بنماذج السلوك السوية التى من الممكـن ان يتعلمها الشخص المريض .

والعـلاج السلوكـى لا يهتم بتصنيـف الاشخاص الـى « منحـرف » و « شاذ » و « ذهانى » الـخ .. كمـا يتحاشـى استعمال المفاهيم والمصطلحات الفلسفية والغامضة والقابلة للتأويل . وهو يعتبر ان كـل سلوك هو طبيعى لانـه يخضع لعمليات تعـلم وان اعتبار هـذا الشكل من السلوك مقبـولا أو غير مقبول يرجع الى اعتبارات ثقافية واجتماعية وحضارية واخلاقيـة .

هنالك حقيقة بسيطة يعرفهـا الخـاص والعام وهـى ان سلوكنا وتصرفاتنا ترضخ دوما لمسبباتها معنـى ذلـك اذا كانت نتيجة سلوك ما مرضيـة بالنسبة لنا ومدعمة ايجابيـا من طرف مجتمعنا فاننـا نتعلمهـا وتدخل قاموس تصرفاتنا واذا كان العكس هو الحاصل فاننا نعمل على اعدامها فكلمـا أثيب وكوفيء نعتمده ، وكلما عـوقب واستهجـن نبتعد عنه ونتحاشاه حتى ينطفيء وهذه الحقيقة العفوية المسلم بها هـى التى وظفتها السلوكية وبالاخص « سكينـر » : « ان التعـلم الفعال عملية يستطيع الشخص من خلالها ان يتعامـل بنجاح مع بيئة جديدة . إن كثيرا من الاشياء التـى تتضمنها البيئـة كالطعام ، والماء ، والجنس ، والهروب مـن الخطر ضرورية واساسية لبقاء الشخص والنوع البشـرى . وكـل سلـوك يؤدى الى التوصـل لهذه الاشياء يعتبـر ذا قيمـة أساسية

لتحقيق البقاء والسلوك الذى له مثل هذه الخاصية يزداد شيوعه من خلال عملية التدعيم الفعال . ولهذا يقال بأن السلوك حصيلة لما يتركه من نتائج أو آثار . ولهذا أيضا تسمى الآثار التى يحدثها السلوك فى البيئة مدعمات . وعلى هذا فان الكائن الذى يشعر بالجوع تتدعم لديه وتقوى انماط السلوك التى تؤدى الى التوصل للطعام . وبالمثل فان السلوك الذى يقلل من خطر واقع ـ تجنب درجة مرتفعة من الحرارة ـ يتدعم نتيجة لهذا الدور ويزداد شيوعه فى المواقف التالية »

السلوك المرضى هو نفسه تعلم خاطىء فمثلا الاستجابة للطفل كلما بكى بتقديم الحلوى ، يجعل الطفل يعتمد البكاء كسلوك ـ للضغط ـ كلما احتاج الى تحقيق رغبة . وهكذا فان العائلة والمجتمع يدعمان عند بعض الاشخاص السلوك الشاذ ، كالعدوان والادمان والخواف لان كل تدعيم يشكل سلوكا ايجابيا أو سلبيا .

والتدعيم أصناف منه الايجابى (الاثابة مثلا) والغاية منه شيوع سلوك اجتماعى مرغوب فيه ، ومنه السلبى ، والهدف منه هو أيضا شيوع سلوك مستحسن اجتماعيا ، ومثاله توقف المجرب عن توجيه صدمة كهربائية للحيوان عندما يظهر استجابة مرغوبة . والتدعيم السلبى يختلف فى طبيعته عن العقاب لان هدف هذا الاخير هو التقليل من شيوع السلوك غير المرغوب فيه (بالضرب ، أو الاستهجان ، او الجزاءات المادية أو السجن) .

التدعيم الاولي المباشر : هو تدعيم الاستجابات المرغوبة بواسطة مدعمات مباشرة تتمثل فى ارضاء رغبة بيلوجية

(طعام ، شراب ...) ويستعمل مع الاطفال والمتخلفين ذهنيا والمعاقين والذهانيين .

التدعيم الاجتماعي : يتضمن الثناء والتشجيع عند ظهور الاستجابة المرغوب فيها .

ولكي يكون التدعيم فعالا لا بد أن تتوفر فيه عدة شروط منها أن يكون فوريا ، وأن يكون مرغوبا فيه ، وأن يكون متقطعا .

وقد تبين للسلوكيين أن فاعلية التدعيم غير قارة ، فمثلا قد ينشط الشخص اذا ما وعد باثابة ، بينما هذه الاثابة لا تحرك ساكنا لشخص آخر ثم ان نفس الشخص قد تختلف استجاباته لنفس المدعم من ساعة لاخرى .

يعتمد العلاج السلوكي على الوعي بالاضطرابات ثم الاقتناع بالاجراءات المقترحة لتغييرها وذلك من طرف المريض والمعالج على السواء .

العلاج السلوكي يهتم بالاساس بالاعراض القابلةللملاحظة وبالتعلم الخاطىء الذي يتحكم في الاضطرابات الحالية بدون اهتمام بالمقدمات السابقة الضاربة في تاريخ الفرد ولا بطفولته ولا بالآليات النفسية الدينامية التي تقول بها مدرسة التحليل النفسي على سبيل المثال .

والعلاج السلوكي لا يهتم فقط باضطرابات الشخصية الاساسية كالشذوذ والعصاب والانحرافات الجنسية الخ ... ولكن ايضا ببعض المشكلات التي يصعب تحديدها ، مثل « أزمات الهوية » و « الاحساس بالتعاسة » و « كره الذات » و « الاحساس بالضياع » أو « بالتفاهة » أو « بعدم الجدوى » الخ .

والعلاج السلوكى يعتمد بدرجة أولى على المريض بتعليمه طرق ضبط الـذات ، التـى بواسطتها يتمكـن من استبصار مشكلاته وتحديدها وضبطها لكى يتجنب الوقوع فيها مجددا هذا من ناحية ومن ناحية ثانية لكى يتمكن من القيام بتنفيـذ برامج التعديل على نفسه البرامج التى وضعها المعالج طبعا .

والسلوكية تركز علـى العلاقات الوظيفية بين ما يفعلـه الشخص والظروف النفسية لحياته . كما تعمد الى الكشـف عن دور أو معنى مثيرات معينة وتأثيرها فى حياة الشخص ، وذلك لكى يتعرف علـى مجمل المؤثرات التـى بتغييرهـا ، يتغير سلوك الشخص على مستوى تفكيره وانفعالاته ..

ويهدف العلاج السلوكى الـى تمكين الشخص من تفاعـل اكثر مع مجتمعه بتكوين علاقات شخصية ايجابية ، وتمكينه من فاعلية جيدة فـى اداء أدواره الاجتماعية علـى مستـوى مهنته بالخصوص ، حتـى يجد الاشباع والرضـى فى كل ما يقوم بـه وتمكينه مـن التوافق مع ذاته واستبصارها ومعرفة نقاط القوة فيهـا والضعف وترسيخ الاولى وتجـاوز الثانية وتنمية قدراته الابتكارية وضبط انفعالاته السلبية وتأكيـد ذاته وتحقيق اشباعاتـه البيلوجية بما فيهـا الجنسيـة ، وأن يكـون لنفسه مجموعـة مـن التصورات والقيم والاتجاهـات والمعتقدات التى تأخذ بيده وتلطف حياتـه وتوفق بينه وبين ذاته وبينها وبين الآخرين .

ان فاعلية العلاج السلوكـى لا تظهر الا فـى غرفة العلاج وصحبة المعالـج ، والاساس هو استمرار هذه الفاعلية فـى العالم الخارجـى والمحيط الاجتماعـى لان المقياس الوحيد لنجاح اى نوع من العلاج هـو المواجهة الناجحـة من طـرف

الشخص ـ المريض سابقا ـ لكل المواقف والخبرات التي كانت تسبب له احباطا ، أو للمواقف والخبرات التي يتعامل معها لاول مرة . وقد تفطن السلوكيون لهذه الظاهرة فبدأوا ينفذون في خطط علاجهم في المحيط الاجتماعي للشخص أو في محيط مشابه له كما بدأوا يشركون أسرة المريض واصدقاءه وزملاءه في العلاج .

قام بعض السلوكيين بتصنيف أساليب تعديل السلوك الى :

I) اساليب لتعديل الانفعال ـ 2) أساليب لتعديل السلوك ـ 3) اساليب لتعديل طرق التفكير ـ 4) أساليب لتعديل طرق التفاعل مع الآخرين .

ـ 1 ـ أساليب لتعديل الانفعال :

يتمثل الجانب الانفعالي المراد تعديله في الخواف والقلق من الجنس الآخر والاكتئاب .. والاسلوب المستعمل لهذه الغاية هو العلاج التدريجي وهو تعويد الشخص على مواقف شبيهة بالموقف الاصلي المثير لهذا الخواف أو لهذا القلق .. وابدال الحساسية المبالغ فيها التي تشكل اضطراب الشخصية ، بنماذج سلوكية جديدة تعتبر عادية وسوية وبالاضافة للعلاج التدريجي هذا تستعمل طريقة الاسترخاء العضلي للتغلب على الاضطرابات الفسيلوجية (التوتر العضلي ..) باعتبار أن تعديل هذا الجانب السلوكي الظاهر يؤدي الى تعديل في الجانب الانفعالي .

ـ 2 ـ أساليب لتعديل السلوك :

يتمثل الجانب السلوكي المراد تعديله في الانحراف بكل أنواعه وكل مستوياته ... والاسلوب المستعمل

لهذه الغاية هو العلاج بالتنفير ، ويتمثل في تقديم خبرات غير سارة متزامنة مع السلوك المرضى الذى يراد التخلص منه ومثال ذلك يقدم للمدمن على الكحوليات بعض العقاقير التى تسبب الغثيان بعد تناول الخمر مباشرة ، وبالاضافة لهذه الطريقة ، يستخدم التدعيم الايجابى لكل استجابة حسنة ، أو بالتوقف عن تقديم التدعيمات التى تظهر ايجابية كالتوقف عن تملق المنحرف ، خوفا منه ، لان هذا التملق يدعم الانحراف عنده .

ـ 3 ـ أساليب لتعديل طرق التفكير :

ويتمثل الجانب الفكرى المرضى المراد تعديله الى مجموع الافكار والمعتقدات والقيم التى يحملها الشخص عن ذاته وعن محيطه الاجتماعى ، كالاعتقاد فى ان السلوك الانسحابى عن الناس فضيلة ، أو أن الانسان هو فريسة للحظ والصدفة . وبالتالى فكل محاولاته لتحسين وضعه أو لاثبات ذاته هى محاولة فاشلة ، أو تبنى الشخص للتعصب العنصرى أو للفصل العنصرى الخ .. والاسلوب العلاجى المستعمل لهذا الجانب المرضى يتمثل فى تبصير الشخص بعدم معقولية مواقفه وافكاره ونتائجها السلبية عليه وعلى مجتمعه ثم العمل على استبدالها بأخرى معقولة وحث الشخص على تأكيد ذاته .

ـ 4 ـ أساليب لتعديل طرق التفاعل مع الآخرين :

ويتمثل الجانب الاجتماعى المرضى المراد تعديله فى الجنوح للجنسية المثلية والاستجناسية وكل أنواع الشذوذ .. وتعتقد السلوكية أن اسباب هذه الاضطرابات هو الاقتداء بالاقربين ، فمثلا اذا كان الاب يمارس الاستجناسية

فـان الابن سيتعلمهـا حتما ، والعكس بالعكس . والعـلاج يتمثل فى تقديم نماذج جيدة من السلوك الاجتماعى للشخص المضطرب قصد الاقتداء بهـا .

هنالك عدة اعتراضات للسلوكية نسـوق البعض منهـا ، تقول هذه الاعتراضات ، انه اذا كان نمط المثيرات هو الذى يشكل نمط السلوك ، فان الشخص ، وليس المثيرات هـو الذى يكـون نشطا وفاعلا ، وهو الذى يقوم بهـذا السلوك ، أوذاك ، اى أن الاستجـابات تسكن فى الشخص وحده وليس فى المثيرات ، التى هى اصلا حياديـة . وأن الشخص ليس مجرد آلة أو مكنة أو مجموعة مـن الاجابـات ، بل هو تاريـخ وذاكرة وذكاء وارادة ومخزون مـن التجـارب والخبـرات ، ورصيد من الشعور والعواطف وقدرات على الخلـق والابداع وان الشخص نفسـه هو وحـده الذى ينظم سلوكـه ويقيمه وهو وحده الذى يتقبل ذاته أو يرفضها وهو وحده القادر على تعديل سلوكه والتأثير فى بيئته وتنظيمها وهو وحده القادر على صنع التاريخ والحضارة .

ثانيا : المنظرون الأساسيون :

ـ 1 ـ **توماس براون :** هـو أول من وضـع مـا يسمى بقوانين الترابط فى كتابه « تاريخ علم النفس الترابطى » كما ذكرها ج . ل . فلوجل .

ـ أ ـ « الفترة النسبية لبقاء الاحساسات الاصلية » فكلما طال تأملنا فى الاشياء كلما زادت قدرتنا على تذكرها .

ـ ب ـ « مدى الحيويـة النسبية لتلك الاحساسـات » فاجزاء سلسلة ما ترتبط ببعضها البعض بشدة وبوضوح بقدر حيوية الاحساسات الاصلية .

ـ ج ـ « التردد النسبى » ترتبط اجزاء سلسلة ما بسهولة بقدر عدد مرات استعادتها .

ـ د ـ « الحداثة النسبية » يتم تذكر الحوادث التى وقعت من ساعات قليلة بينما يتم نسيان ما حدث منذ أيام

ـ هـ ـ « تعايشها فى الماضى مع ترابطات قليلة » فالاغنية التى لم نسمعها الا من شخص واحد لا بد عند سماعها مرة اخرى أن نستدعى ذلك الشخص الى ذاكرتنا .

ـ و ـ « فروق الجبلة بين الافراد » تعدل من القوانين الاولية فهى تدعم نسبيا مجموعة من الميول الارتباطية عن مجموعة أخرى .

ـ ز ـ « التغير داخل الرد الواحد » وفقا لتغير انفعالاته الوقتية .

ـ حـ ـ « اختلاف الحالات المؤقتة » كما فى حالة السكر أو المرض أو الهذيان .

ـ ط ـ « العادات السابقة فى التفكير والحياة » أى تأثير الميول المكتسبة على أى موقف مهما كانت الخبرة حديثة او غير متصلة .

ـ 2 ـ **مارشال** : هو أول من قدم صياغة علمية للتفريق بين الافعال الارادية والافعال المنعكسة بعد ان تبين له ، أنه بالامكان عند استخدام منبه مناسب لاحداث انواع محددة من الحركة العضلية بمساعدة الاعصاب المحيطة والنخاع الشوكى مستقلة تماما عن الدماغ وبالتالى متميزة عن الحركات الشعورية والارادية .

ـ 3 ـ **جيمس ميل** : ينكر كل نشاط مهما كان ضئيلا للعقل ، فالشعور بالنسبة له هو مجرد مجاميع من الاحاسيس

والافكار المترابطة . فالقول انى اشعر باحساس ، ليس هو نفس القول بأننى أحس ، فالانا لا وجود له أو ليس فى الامكان ان يوجد الا على صيغة أفكار أو احساس عند الشخص فى حالة ما . وبالتالى فهو يعتبر ان لا حاجة للانسان لاى نشاط عقلى غامض وسام . وهو بذلك يعتمد على الارتباطية فى اصلب انماطها واكثرها تطرفا وآلية ، التى تعتبر ان العقل هو مجرد (موزاييك) من الاحاسيس مترابطة بواسطة سلسلة من العمليات الميكانيكية الصرف . والكائن الحى يستجيب للمنبهات الخارجية كمجرد آلة معقدة . وان نمو الانا يتم من خلال التسجيل البسيط والوصل ثم المزج بين الانطباعات الحسية .

- 4 - **جون ستيوارت ميل** يقول : « إن النتيجة الحادثة عن تجمع عدة اسباب معا ليست دائما وبالدقة مجموع تأثيرات هذه الاسباب كل على حدة ، بل ولا تأتى النتيجة واحدة فى كل مرة . ان قوانين ظواهر العقل تشبه أحيانا القوانين الميكانيكية ولكنها تشبه القوانين الكيمائية أحيانا أخرى ، فعندما تعمل عدة انطباعات أو افكار معا فى العقل فانه تحدث أحيانا عملية من نفس نوع عمليات الاتحاد الكيميائى فالانطباعات التى طالت الخبرة بها بحيث ان احدها يستدعى فورا وبسهولة بقية أفكار المجموعة ، هذه الافكار تذوب أحيانا وتتحد مع بعضها البعض وتبدو فكرة واحدة لا عدة أفكار ... فالفكرة المركبة المكونة من اتحاد عدة افكار أبسط عندما تبدو بسيطة فعلا (اى عندما لا يمكن تمييز عناصرها المنفصلة شعوريا) يجب أن يقال : إنها ناتجة عن الافكار الابسط او متولدة منها وليست متكونة عنها » .

ـ 5 ـ **سبنسر** : يعتبر ان العقل كله مجرد هزات عصبية ، أو موجات من الاضطرابات الجزئية التى يزداد تعقيدها مع استمرار النمو وان دوام العلاقة بين حالات الشعور يتناسب مع دوام العلاقة بين الدوافع التى سببتها فالكائنات البسيطة تستجيب مهما تعقدت المنبهات باسلوب بسيط وغير متمايز فسلوكها شديد الشبه بالفعل المنعكس والكائنات الاكثر تعقيدا فهى تستجيب للمنبهات بواسطة الغريزة التى هى فعل منعكس مركب . وكلما تعقدت الكائنات كلما تعقدت افعالها المنعكسة ، فالذاكرة مثلا هى فعل منعكس ، اى سلوكى ملائم أصبح أوتماتكيا لا شعوريا .

والشعور بالنسبة لسبنسر هو السمة الرئيسية التى تميز الظواهر السكلوجية عن الظواهر البيلوجية ، اذ بينما تضم الظواهر البيلوجية تغييرات متزامنة ومتتالية وهى عدد هائل من السلاسل المختلفة المرتبطة ببعضها البعض ، فان الظواهر السكلوجية تضم تغيرات متتالية فقط فتتقدم نفسها كسلسلة مفردة .

ـ 6 ـ **ايفان ام . سيشينوف** : قال بان النشاط النفسى لا يمكن تفسيره الا بالاعتماد على النشاط الفزيلوجى لان كل العمليات النفسية هى مجرد انعكاسات وان جميع المظاهر الشعورية واللاشعورية يمكن ارجاعها فى الآخر الامر الى حركات عضلية او نشاط انعكاسى .وقد شرح فرضياته هذه فى كتابه « انعكاسات الدماغ » واسماها بعلم النفس الموضوعى ، وقد قال بافلوف بان هذا الكتاب هو مصدر الهامه الاساسى .

ـ 7 ـ **بافلوف** : يقول ان الشخصية ترتكز على مجموعة كبيرة ومتنوعة ومتشابكة من المنعكسات الشرطية ، التى هى نتيجة مباشرة لمنعكسات أولية غريزية غير شرطية وتتكون المنبهات من نمطين رئيسيين : هما المنبهات الاولية البسيطة الغريزية والتى تسمى بجهاز الاشارة الاول ومن منعكسات شرطية ناتجة عن النمط الاول وتسمى بجهاز الاشارة الثانى .

ويتكون جهاز الاشارة الاول من مجموعة المنبهات (الحسية) الاولية الغريزية التى يشترك فيها الانسان مع الحيوان مثل الاحساس بالجوع والعطش والالم ويتمثل دور الجهاز الثانى فى انشطة الدماغ الراقية من تفكير وكلام وكتابة وفى عمليات الارتباط بالمجتمع وبالبيئة .

والاحساس هو عبارة عن بلوغ منبهات خارجية أو باطنية بواسطة قنوات الحس ، الى القشرة المخية ، تكون بؤرة استشارة فزيلوجية أى أن الاحساس هو مجرد نشاط فزيلوجى وتتحكم فى عملية الاستشارة عدة قوانين سنتعرض لها فيما بعد .

وبافلوف يعتقد أن كل الانشطة العقلية للانسان هى مجرد نتيجة لعملتى الاستثارة والكف ومدى التوازن بينهما فالنوم مثلا هو مجرد انتشار لمؤثرات كافة فوق مساحة محددة من القشرة الدماغية . والعصاب هو مجرد صراع بين مؤثرات منبهة ومثبطة متساوية القوة ، كما قال بامكانية خلق كل درجات العصاب والنيام المغناطيسى ـ تجريبيا ـ على الحيوان .

وقد ميز بين انماط اربعة للشخصية الانسانية كما هو بالنسبة للحيوان ، وكل نمط هو عبارة عن شكل من أشكال النشاط العصبى وهذه الانماط هي : النمط القوى الاثارة والنمط الحيوى والنمط الخامل والنمط المثبط الضعيف وكل من هذه الانماط يختص بعصاب ، فمثلا تترعرع النورستانيا عند النمط القوى والهستيريا عند النمط الضعيف وهكذا .

وقد اطلق على اللغة اسم نظام الاشارات الثاني وقال بان هذا النظام هو الذى يميز النشاطات العصبية الانسانية العليا عن تلك التى عند الحيوان . وان النشاط الفكرى من تأمل وتصور وقدرة على تكوين المفاهيم وغير ذلك هي نتيجة مباشرة لنظام الاشارات الثانى . ولان الحيوان لا يمتلك هذا النظام فانه يعجز عن التفكير وعن الكلام وان نشاطه الفكرى يظل محدودا .

أما أهم العناصر المكونة للبفلوفية فهى :

ـ أ ـ المثير الشرطى ، وهو يعنى أن أى مثير فعال يؤدى الى اثارة اية استجابة غير متعلمه منتظمة .

ـ ب ـ الاستجابة غير الشرطية ، ومثالها طرفة العين عندما تتعرض لاى مثير خارجي ، وهي استجابة انعكاسية طبيعية ومؤكدة يحدثها مثير غير شرطى .

ـ جـ ـ المثير الشرطى ، وهو مثير محايد لانه لا يولد استجابة متوقعة فى أول الامر ولكنه وبتواجده قبل أو مع مثير غير شرطى فانه يصبح قادرا على احداث استجابة شرطية . ومن مقوماته ضرورة ان يحدث ضمن نطاق مدى

احساس الكائن المراد اشراطه وأن لا تكون له أية خصائص قبل الاشراط من شأنها أن تنتج عنها الاستجابات .

ـ د ـ الاستجابة الشرطيـة ، وهو الانعكـاس المتعلـم الجديد الذى يحدث نتيجة اقتران المثير الشرطى مع المثير غير الشرطـى . وهـذا الانعكاس الجديـد لا يشبـه تمامـا الانعكاس غير الشرطى لا من حيث الشدة ولا من حيث السعة ولا من حيث فترة الكمون .

ـ هـ ـ التنبيه (أو الاستثارة) والكف ، وهذا يعنـى أن المثير الذى كان محايدا يصبح مثيرا شرطيا عند اقترانه بمثير غير شرطـى . أى أنه يكتسب خاصية التنبيه والقدرة على استدعـاء الاستجابـة الشرطية . ومبدأ التنبيـه مضاد لمبدأ الكف ، الذى هو عبارة عن فشل مثير سبق أن تمـت عملية اشراطه فـى استدعاء مثير غير شرطى مما ينتج عنـه انطفاء الاستجابة الشرطية .

ـ و ـ تعميم المثيـر : الاستجابـة للمثيـرات الشبيهة بالمثير الشرطـى الاصلـى تكون شبيهـة الـى حد كبيـر بالاستجابة للمثير الشرطى الاصلى . هذا بالنسبة لمراحـل الاشراط الاولـى ، وبمرور الزمن تصبح هـذه الاستجابات انتقائية ، الى أن تصبح استجابات للمثير الشرطى الاصلى . وتستجيب بدرجة أقل الى المثيرات التـى لا تشبـه المثير الشرطى الاصلى . وعلى العموم يمكـن القول : إنه كلما ازداد التشابـه بين المثيـرات الاخـرى والمثيـر الشـرطى ازداد احتمال استدعاء هذه المثيرات للاستجابة الشرطيـة .

ـ ز ـ التمييز فى بداية تكوين عمليـة الاشراط يبـدأ الكائن الحى فى التمييـز بين المثيـرات المناسبـة وغيـر

المناسبة ومن خلال هذا التمييز يأخذ فى الاستجابة بشكل انتقائى للمثيرات المعززة ويكف استجاباته للمثيرات غير المعززة .

ـ حـ ـ الانطفاء ، وهذا يعنى انه فى صورة اعطاء مثير شرطى بشكل متكرر لكن بدون أن يعقبه مثير غير شرطى فان الاستجابة لهذا المثير (اى المثير الشرطى) تتوقف فى نهاية الامر .

أما هذه العناصر المكونة للنظرية البافلوفية فقد استخلصها صاحبها من العديد من التجارب المعملية وتتمثل ـ بصورة عامة ـ فى انه اذا تعود كائن حى جائع أن يقدم له طعام فى طبق بعينه فان هذا الطبق يصبح بعد فترة زمنية وحتى ولو قدم فارغا يستدعى الاستجابات الاولية الغريزية ـ غير الشرطية ـ كسلان اللعاب مثلا عند هذا الكائن معنى ذلك أن الطبق أصبح مثيرا شرطيا . بسبب ترابطه وتزامنه مع المثير التدعيمى غير الشرطى الذى هو الطعام ومن الملاحظ انه كلما تزامن المثير الشرطى مع المثير غير الشرطى اكتسب المثير الشرطى قوة تدعيمية أكبر والعكس صحيح أى ان هذه القوة التدعيمية للمثير الشرطى تتلاشى بسرعة اذا لم يتواصل الترابط بين المثيرين .

وقد فسرت السلوكية العديد من الظواهر الاجتماعية المعقدة بالارتكاز على هذه المبادىء . فعلى سبيل المثال تقول : إن علاقة المودة مع صديق تتمتن ، أو تتوقف تبعا لدرجة الاشباع المتبادلة .

كما استغلت هذه المبادىء لتفسير بعض انماط السلوك العصابى أو المضطرب معتبرة ان المثيرات المحايدة التى

ترتبط باستمرار مـع مثير غير شرطى مؤلم ، تصبح حتمـا مثيرات شرطية مؤلمة . معنى ذلك انه من الممكن لاى شخص ان يكتسـب ـ وفقا للاشتراط الكلاسيكـى ـ ردود افعـال انفعاليـة عميقـة واستجابـات احجامية ازاء مثيرات محايـدة فى الاصل .

ـ 8 ـ **فـلادميـر بختـرييف** : لاحظ ان الكـلاب عندما تتعرض أجسادها الى برودة عالية ومفاجئة تتلاحق أنفاسهـا (وهو فعل منعكس طبيعى) لكن اذا ما تزامـن مثير ثان مع البرودة ، فانـه وبعد مدة يثير عند الكـلاب وبمفـرده نفس المنعكس اى تلاحـق الانفاس ، وقـد اجـرى عدة تجـارب مشابهة علـى منعكسات أخـرى ، وبالاخص علـى حركـات المخلـب الدفاعية بواسطة مثير كهربائـى فقد اسمع كلبـا نغمة موسيقية (المثير المحايد) واتبعها بصدمة كهربائيـة على مخلب الكلب الامامي وبعد ان كرر عمليـة الاقتران هذه عدة مرات اصبحت النغمـة وحدها قـادرة علـى استدعـاء الاستجابة (وهى ثنى الكلب لمخلبه) .

وبخترييف ينكر المناهج العقليـة والاستبطانيـة ويؤكـد على أهمية المفاهيم الفزيلوجية . وهو أول من وضع الفكـرة القائلة بان التفكير هو مجرد كلام غير صوتى مثلـه مثل كل المنعكسات الشرطية الحركية .

ـ 9 ـ **جون واطسن** : يرفض واطسن دراسة الظواهـر النفسية مثل الفكر والوعـى والشعور والوجدان ... مفضـلا عليها دراسة الافعال السلوكية بشكـل مباشر بطريقـة مثير الاستجابة ، اى فـهم كيف ينتج عن مثيـر ما محـدد اجابـة محددة .

وقد أكد على دور البيئة فى تفسير السلوك ، معنى ذلك انه كان ينظر الى السلوك الانسانى مهما كان معقدا ، كنتيجة لاشراطات مسبقة وكان ينظر الى الشخصية على أنها مجرد انعكاسات اشراطية .

ويقول ان التفكير والشعور مبنيان على نفس هذه المنعكسات ، فالتفكير انما ينشأ عن الكلام الصامت ، أو عن سلسلة من الحركات الكلامية ، لا يحس بها الشخص . اى أن أفكارنا هى نتيجة لمؤثرات خارجية تستثير مختلف الحركات الكلامية ، فهى أشبه بجرس التلفون الذى يندفع فى الرنين لان رقمه قد طلب بواسطة جهاز تلفون آلي آخر ثم ان الفكر والشعور مقيدان بخبرات سابقة مسجلة بالجهاز العصبى .

وواطسن يقول بمبدأ التكرار ـ الحداثة ، وهذا المبدأ ينص على أن المتعلم اذا ما اعطى عدة استجابات لمثير ما فان الاستجابة التى تتردد أكثر من غيرها هى الاستجابة التى يتم تعلمها من طرفه . فالشخص كما يؤكد واسطن يستخدم طريقة التجربة والخطأ كى يتعلم الاستجابة الصحيحة ، وحيث ان هذه الاستجابة هى التى ستعزز بحكم تكرارها فانها بالتالى تصبح الاستجابة المناسبة فى الموقف المناسب .

أما مبدأ الحداثة فهو ينص على أن الاستجابة الاكثر حداثة من بين الاستجابات المتعلمة فى موقف ما هى التى تصبح الاستجابة الاكثر توقعا فى هذا الموقف . أما فى ما يخص المفاضلة بين التكرار والحداثة فان واسطن يؤكد بان التكرار هو الذى يكون الاستجابة الغالبة .

ـ 10 ـ **كلازك هل** : يقول بوجود حاجات أولية عند الكائن الحي وبفقدان هذه الحاجات تنشأ حالة عدم توافق بين الكائن وبيئته ـ أو محيطه الخارجي ، وعدم التوافق هذا غير الطبيعي يجعل الكائن الحي يتصرف بطريقة ملائمة لوضعه الجديد ، قصد اشباع هذه الحاجات أو كفها أو اختزالها او تقليصها ـ ومن هنا تتكون بداية عادات جديدة هدفها اشباع هذه الحاجات . وعملية الاختزال هي جوهر نظرية هل وتتم عملية الاختزال وفقا لمبدأ التدعيم .

ويعتقد هل أن فاعلية التدعيم لا تقتصر على تقوية ميل استجابة معينة للظهور .بل تتعدى ذلك الى تقوية احتمال ظهور نفس الاستجابة ازاء نماذج أخرى مشابهة من المؤثرات وهو ما يسمى بالتعميم . ومثال ذلك أن الطفل الذى يخاف من الكلاب ، يخاف من كل الحيوانات الشبيهة ، لكن خوفه من الكلاب يكون عامة أقوى من خوفه من بقية الحيوانات اى أن للتعميم مراتب .

ولا تقتصر فاعلية التدعيم على تعلم العادة ، بل هي ضرورية للاحتفاظ بها ولصيانتها . وحينما تتم الاستجابة المتعلمة دون تدعيم فان قوة ميل هذه الاستجابة للظهور تأخذ فى الانطفاء التدريجي .

وعملية الانطفاء ليست نهائية ، بل تتوقف على شروط عديدة ، فمثلا العادات القوية تقاوم الانطفاء اكثر من العادات الضعيفة ، والمثابة تقاوم الانطفاء اكثر من غير المثابة .

وهنالك بعض العادات التى تظهر وكانها منطفئة ، وهي فى الحقيقة في حالة كمون ، ولكن سرعان ما تظهر تلقائيا اذا تم تدعيمها .

اذن وظيفة الانطفاء هى فى آخر الامر وظيفة تدعيمية لانها تلزم الشخص على اثابة وباستمرار كـل العادات المرغـوب فيها والا فانها تنطفىء .

وتتلخص نظرية هل فـى ان مستوى النشاط عند الكائـن الحـى يعتمد بالاساس علـى درجة التوتر التـى تنشـأ عن الاحتياجـات الغريزية الاساسيـة التـى لم تقـع تلبيتهـا وان الانشطة التى تؤدى الـى تخفيض ناجح للتوتر الناشىء عـن الحافـز يتاح لها أن تتكرر مرة بعد اخـرى ، اى ان التعلـم ينتج كاستجابة تخفيض الحافز .

ـ 11 ـ **جاثرى** : يقـول بقانون واحد للتعلم ، وهو اذا كانـت لدينا مؤثرات معينة وصحبتها حركة مـن الحركات ، فـان هذه الحركات تظهر ثانيـة ، بمجرد ظهـور المؤثـرات ويتم الترابط بين المؤثرات والحركات بمجـرد حدوثهما معا مرة واحدة .

كما يقـول بتلازم المؤثر والاستجابة ، اى حدوثهما فـى نفس الوقت لكى يتم الترابط ـ بمعنى التعلم ـ ويقـول بأن التكرار يؤدى الى تحسن التعلم ، ليس لانه يكشـف الارتباط بين المؤثر والاستجابة ، بـل لان التكرار يمكـن من تدعيم الارتباط بين المؤثرات الجديدة والحركات الجديدة .

ويقول بأن الشخص يتعلم العادات ... تبعا لارتباطات بين المؤثرات والحركات ، وتكون هذه العادات ... ثابتـة . ولا تندثر الا عند تعلم عادات جديدة متناقضة معها .

وقد وضع « هـل » بعض الطرق العملية التـى تمكن من الاقلاع عن بعض العادات الخاطئة ، بالاعتماد علـى الوسائل التالية :

ـ أ ـ التأثير بالمؤثرات بدرجة مخففة حتى لا يتمكن من استثارة الاستجابة الخاطئة غير المرغوب فيها .

ـ ب ـ الاستمرارية فى التأثير بالمؤثرات ولفترة زمنية الى درجة انهاك الاستجابة ـ المراد اقتلاعها ـ ثم تعويضها باستجابة جديدة .

ـ جـ ـ التأثير بالمؤثرات فى الوقت الذى تكون فيه عوامل أخرى موجودة تعمل على كبت الاستجابة .

ـ 12 ـ **سكينر** : يرفض رفضا تاما فرضية الحواجز والدافعيات الداخلية ، ويقول فى هذا الصدد : إن حالات أو حاجات باطنية غير قابلة للملاحظة ، لا يعتبر تفسيرا علميا لانه لا يضيف شيئا الى مقولات الفلسفة ، ولان الدافعية هى ببساطة نتاج حرمان او اشباع الكائن الحى .

وهو يحاول اكتشاف الاحداث والمواضيع الخارجية التى تتحكم فى السلوك ، تقويه او تحافظ عليه أو تغيره ، أى الشروط الموضوعية التى تنظم السلوك وتتحكم فيه ، بدون اهتمام بدوافع سلوكية باطنية ، حتى فى صورة وجودها وسكينر لا يستبعد اعتبار الاحداث العقلية كالتفكير والتخيل قابلة للدراسة ، وهو لا يرفضها بل يعتبرها أنواعا من السلوك لكنه يقول « التذكر » بدلا من « الذاكرة » و «التفكير » بدلا من « الفكر » والابصار والاستماع الخ .. بدلا من « الاحساس » أى انه يحول هذه المفاهيم الى نشاطات عضلية ، وهو يقصد بذلك دحض الاتجاه الذى يفسر السلوك بالرجوع الى الجهاز العصبى فى هذا الصدد .

هناك موضوعان (السلوك والجهاز العصبى) مستقلان عن بضهما البعض ولا بد ان يكون لكل منهما أساليبه ومعطياته

الخاصة به . ولا تستطيع أية معلومات عن الموضوع الثاني مهما توافرت ، أن تعطى « تفسيرا » للموضوع الاول أو أن تكون صورة متكاملة عنه دون اللجوء الى الدراسة التحليلية التى يمثلها علم سلوكي . وهذا المنطق ينطبق بنفس الدرجة على العلوم الاخرى التي تدرس اجهزة الجسم الداخلية المتعلقة بالسلوك . ان ايةمعلومات عن الغدد الصماء لن يكون فى مقدورها أن تؤيد الرأى القائل بأن الشخصية هي مجرد افرازات غدية أو ان الفكر مجرد امر كيمياوى . والمطلوب فى هذه الحالة اذا كان للراى المذكور أن يتخطى حدود البلاغة اللفظية ان نضع معنى يحدد المقصود بالشخصية أو الفكر وقياس خصائص كل منهما قياسا كميا ... وما اؤكده هنا أن علم السلوك ليس مستقلا عن علم الاعصاب فحسب بل ينبغي ان ينظم اليه كعلم قائم بذاته سواء جرت محاولة لتقريبه من علم الاعصاب أو لا .

ثم ان الانسان هو صندوق مظلم ، وليس بالمهم ان كان ممتلئا او فارغا لان دوافعه ورغباته وانفعالاته وعواطفه لا تهم ان قليلا او كثيرا لانها غير خاضعة للملاحظة لكن المهم هو سلوك الانسان ووصف هذا السلوك وتحديد العلاقات القائمة بين التعزيزات والاستجابات والتنبيهات .

ويقول : إن السلوك الفعلي للكائن الحى هو الذى يحدده ، اى ان هنالك أفعال محددة تؤدى الى نتائج مرغوب فيها ومحددة ولانها كذلك فان الكائن الحي يكررها ويعززها والسلوك بمثابة قطعة طين فى يد نحات يشكلها تدريجيا الى أن تبليغ شكلها الاخير . وتعزيز اية عادة سلوكية هو ميل أو نزعة الفعل لان يتكرر لانه بذلك يحصل الكائن العضوى

على مكافاة . وكـل تعزيز يضاعـف فـى احتمالات رسـوخ السلوك . والتعزيز هو مكافاة دافـع أولى أو ثانـوى بيلوجى أو نفسى . والتعزيز عنـد الانسان كمـا هو عنـد الحيـوان يشمل مكافآت مادية ومعنوية .

والسلوك قابل للتغييـر والتشكيـل ولـه جانبان ، همـا جانب « المدخلات » وهى كل التنبيهات التى يتقبلها الانسان من المحيط ، وجانب « المخرجات » وهى مجمـوع الاستجابـات التـى يقدمهـا الانسـان . وان المتغيـر التابـع الذى هـو الاستجابات يرتكز أصلا على النمط المتغير المستقل الـذى هوالتنبيهات واذا سيطرنـا علـى « المدخـلات » سيطرنـا بالتبعية على الاستجابات وبالتالى سيطرنا على السلوك .

مثال ذلك « اذا اردنا انتاج شخص يتميز بسلوك عصابـى أو عدوانى الخ .. » فعلينا أن نسيطر علـى نوعية التنبيهات التى نزوده بها ، وسنكون عنده ـ حتما ـ استجابات عصابية أو عدوانية الخ ... تبعا للقانون الذى يربط النتيجة بسببها ما دام الانسان لا يختلف كثيرا على أية آلة أو مكنة .

وقد تركزت اعمال سكينر علـى الدور الذى تلعبه الاثابة (أو التدعيم) كمحـددات أساسية للتحكم فـى السلـوك ، بتغييره بالخصوص ، وهو يقول : إن جل السلوك الاجتماعى يتضمن انماطـا مـن الاستجابات المنبعثـة بحريـة أو مـن « الافعال الاجرائية » .

ويقول سكينر : إن انسان اليوم الذى لا يختلف عن الآلـة او المكنة محكوم عليه بالرضوخ للعائلـة وللدولة أى للنظم الاجتماعية والسياسية ، والسبب فـى ذلك هو التقييم الخاطىء والمفهوم المغلوط للانسان لقيم مثل الكرامة والحرية الخ ..

التى أضفى عليها هالة من القداسة الفضفاضة ، فجعلت منه عبدا لها • وهذه القوى المسيطرة وبالاخص السياسية تعتمد فى استلابها للانسان على الاكراه والعقاب ... وحتى ولو حاول المدافعون عن انسانية الانسان ونجحوا من تمكينه من كرامته وحريته ، فان هذا النجاح سيكلل بالاخفاق ــ بعد مدة وجيزة ــ لان الطرف الآخر سيبتكر طرقا أكثر فاعلية وفعالية للمزيد من السيطرة والاستلاب .

ويقول : « إن الكائن الحى « يعمل بفعالية » للتأثير على محيطه وعلى البيئة المتواجد ضمنها . كلما تلقى تدعيما . ونواتج الانماط الاجرائية من الاستجابات تقوى احتمال حدوث استجابات مماثلة مستقبلا ، أى وكقاعدة عامة كل سلوك اجرائى يتحدد بنواتجه أو مترتباته . فاذا كانت نواتج أو مترتبات الاستجابة مرغوبة أو مدعمة فان السلوك الاجرائى يحتمل ظهوره مجددا فى المواقف المماثلة .

وهذه « المدعمات » أو النواتج المرغوبة ليست مقيدة فقط بالاثابات الغريزية كالطعام أو الجنس ، بل ترضخ أيضا لمدعمات ثانوية ذات صبغة اجتماعية ، كالاشباع المعرفى والابتكار » .

ويقدم سكينر وصفا نموذجيا للتعلم « الوسيلى » أو « الاجرائى » على النحو التالى ، الكائن الحى فى نشاطه العشوائى هنا وهناك ، يقوم بعمل عفوى ما (كأن يضغط على رافعة) فينتج عن هذه الحركة رد فعل ، فى صورة اثابة مثلا (طعام) وبمرور الوقت فان هذا السلوك الوسيلى يتأثر بنتيجة العمل الاول وهو الضغط المثاب على الرافعة . وهكذا فان هذا الكائن الحى يتعلم انه اذا كان هناك رافعتان

احداهما يحصل بالضغط عليها عن اثابة والثانية لا يحصل على شيء فانه يتعلم الضغط على الاولى للحصول (على الاثابة) .

وهو يقترح ما يسميه بـ « التحليل الوظيفي » للكائن الحي ، وهدفه هو محاولة ربط سلوك الكائن الحي ثم ضبطه والتحكم فيه . ومن هنا فان سكينر يؤكد على التلازمات القابلة للملاحظة بين « المتغيرات المستقلة » (احداث المثير) و « المتغيرات التابعة » معنى ذلك ان المتغيرات المتضمنة فى التحليل الوظيفى من المفروض ان تكون خارجية وقابلة للملاحظة والوصف على الطريقة العلمية .

أما اجراءات تعديل السلوك السكينرى فهى تتمثل فى :

أولا : مرحلة التشخيص : تتمثل فى التحديد النوعى للسلوك غير المرغوب فيه والمراد تعديله ، أو تشكيله من جديد . وكل سلوك يكون صراعات نفسية عند الشخص أو يكون له صعوبات مع الآخرين هو سلوك غير مرغوب فيه .

ثانيا : تحديد الظروف الاجتماعية : تحدد تلك الظروف التى أدت الى تعلم هذا السلوك الخاطىء بالتركيز على انماط الاستجابة والتدعيم بين الشخص والظروف البيئية التى أحاطت ببدايات العرض بدون اهتمام بتاريخ الشخص .

ثالثا : تعديل السلوك : والغاية منه هى مساعدة مضطرب الشخصية على التحديد الجيد لانواع السلوك السوية التى يرغب فيها قصد وضع منهجية لتعلمها والتخلص من السلوك غير المرغوب فيه ، فمثلا يقع تحديد الوسائل التى قد تكون مؤثرة فى التوصل الى التغيير المنشود وكذلك تحديد

نتائج هذا التغيير المحتمل . وبعد ذلك يقع ضبط المعززات الهامة وبرمجة طرق التحكم فى المثيرات وتصميم البيئة الصالحة للمحافظة على هذا السلوك الجديد المكتسب .

وفى كل مراحل « التحليل الوظيفى » يتم تسجيل جميع التغيرات التى تطرأ على السلوك وتسجيل كل الاجراءات التى استعملت لهذه الغاية ، وتحديد المتغيرات التى كان لها اكبر الاثر فى احداث السلوك الجديد .

وقد قال بجداول تعزيز هى :

ـ أ ـ الجدول الفاصل الثابت ، وفيه يتحتم مرور فاصل زمنى ثابت بين كل تعزيز والذى يليه ولن تقع الاستجابة للتعزيز الاول الا عندما تنتهى مدة هذا الفاصل ..

ـ ب ـ جدول الفاصل المتغير ويكون فيه الفاصل الزمنى بين المعزز والذى يليه متغيرا وتكون الوسيلة الوحيدة للتثبيت من الحصول على المعززات المحددة هى الاستجابة المستمرة والمثابرة .

ـ جـ ـ المعدل الثابت ، وفيه يقع التعزيز بعد كل عدد محدد من الاستجابات كأن يقدم المعزز بعد كل سابع استجابة مثلا .

ـ د ـ جدول المعدل المتغير وفيه يكون التعزيز بعد عدد مختلف من الاستجابات وذلك تبعا للمناسبات .

ـ 13 ـ **باندورا والترز روتر :** يطلقان على التعلم بدون تدعيم مباشر مصطلح « التعلم المعرفى » أو « التعلم الانتقالى » أو « التعلم بالملاحظة » أو « التعلم بالنموذج » وهذا معناه ان اكتساب المعارف الجديدة والخبرات الجديدة والمهارات الجديدة ـ اى كل انواع السلوك ـ يتكون عن طريق الملاحظة

وبدون تلق لاى تدعيم خارجي صريح . ويحدث ذلك عندما يلاحظ الشخص ما يفعله الآخرون أو حين ينتبه الى البيئة الطبيعية والى الاحداث والى الرموز من كلمات وصور ... اى ان التعلم يعتمد على عمليات ادراكية معرفية كالانتباه الانتقائي والتركيزى .

فعندما يلاحظ شخص أن أشخاصا آخرين يحصلون على نواتج ايجابية لنمط معين من التعلم فانه يميل الى تقليده والنسج على منواله . والعكس صحيح ، مثلا فى احدى التجارب لاحظ أشخاص صوت جرس مقترنا باستجابات خوف يظهرها شخص (نموذج) فنتج عن ذلك خوف لدى الاشخاص الملاحظين لصوت الجرس .

ويقول أصحاب هذه النظرية ان الكثير من الناس الذين لم يتعرضوا لاية خبرات مؤلمة مع حيوانات يخافون منها بعد ان يلاحظوا ردود الافعال الانفعالية التى يبديها غيرهم حينما يواجهون الحيوانات .

ثالثا : تعديل السلوك من وجهة نظر السلوكية :

العلاج السلوكى أو تعديل السلوك ، هو التطبيق المباشر لقوانين التعلم العامة اى مبادىء العلاج السلوكى المرضى هى نفس مبادىء التعلم التى تتحكم فى السلوك السوى وسنقدم حوصلة لبعض طرق تعديل السلوك المستعملة اليوم بدون الحكم لها او عليها .

I ـ طريقة « جوزيف فولبى » :

وهى تسمى بطريقة التحصين المنظم التدريجى .

الخطـوة الاولـى : وفيهـا يتم تحديد مستويـات التدرج الهرمى لمثيرات القلق :

فـى أول الامر يقع تحديد ـ أو حصر ـ المواقـف التـى تشكل استثارة واحجاما انفعاليين متسببين فى هذا القلق ، كما يقع تحديد كيفية ودرجة ومجالات وموضوعات هذا القلق مثل الخوف من الاخفاق ، وعدم الثقة فى النفس ، والاحساس بالذنب وغير ذلك . كما يقع تحديد مستويات التدرج الهرمى لشدة المثيرات ، فمثـلا الشخص الـذى يرهب الكـلام مـع مجموعة من الناس ، فان خوفه هذا يتدرج من الخوف البسيط الى الرعب الخانق وفقا لاختـلاف الموقف وعدد الاشخـاص الخ ..

الخطوة الثانيـة : يتم فيها تزويـد الشخص باستجابـات لكف القلق أو على الاقل ضد تفاقمه وهو ما يسمى بالتدريب على الاستجابة المضادة كالاسترخاء العضلى العميق .

الخطوة الثالثة : وتأتى بعد التدرب الكامل على الاسترخاء العضلى ، وفيها يقدم الى العميل لفظيـا ، أو بشكـل رمزى المثيرات التى تسببت لـه فى اضطرابـه وبطريقة تدريجيـة لكى يتدرب على التعامل معها ، بوعى ، حتى يستطيـع فهـم غلط ما توهمه ، وبأن هذه المثيرات هى حيادية وانه هو الذى أعطاها هذا المفهوم أو ذاك .

واذا حدث : ان اصبح العميل قلقا عنـد استعراضه لخبرة ما فانه يتوقف فورا عن استعراضها ، حتـى يسترد هـدوءه ، وبعد أن يسترجـع حالة استرخائه العميـق ، يطلـب منـه استعراض خبرة اقل شدة فى التدرج الهرمـى حتى يستطيـع

التركيز عليها بدون قلق ، وعندما ينجح فى ذلك ، فانه يتقدم الى درجة أخرى أكثر شدة من مستويات قلقه وبتغلبه عليها يتقدم الى غيرها حتى يتمكن فى الاخير من التغلب على قلقه .

وبايجاز تتلخص هذه الطريقة فى استدعاء استجابات تتدرج فى الشدة مضادة للقلق ، قصد حصر هذا القلق ـ ولو جزئيا ـ حتى يصبح الربط بين المثير المنفر والقلق المرضي ضعيفا وكل ذلك بواسطة استرجاع الخبرات المؤلمة فى حالة استرخاء عضلي عميق .

2 ـ طريقة « دولارد وميللر » :

وهى تسمى « الطريقة السيكودينامية »

وتعتمد هذه الطريقة على أربعة مبادىء أساسية وهى الحافز والدلالة والاستجابة والمكافأة وتتلخص هذه الطريقة فى هذه المقولة : « لكي يتعلم الفرد ، يجب أن يريد شيئا ما ، وأن يلاحظ شيئا ما ، وأن يفعل شيئا ما وان يحصل على شيء ما .

ـ 1 ـ **الحافز** : تتكيف حياة الحى من مجموعة من الحاجات البيلوجية الفطرية ، كالهواء والماء والطعام والدفء ... التى يعتبر اشباعها حيويا لا مناص منه وهذه الحاجات البيلوجية الاولية تنتج عنها حوافز ثانوية تتحكم فى السلوك مثل المال والمكانة الاجتماعية والسيطرة وتحقيق الذات وكل عمليات الابتكار والخلق ... وهى ما تسمى بالاهداف والحواجز المتعلمة . فاما الحاجات البيلوجية فان

الدور الذى تلعبه لا اهمية تذكـر له ، الا فى ظروف خاصـة مثل الحرب والمجاعات ... لكن على العكس من ذلك تلعـب الحوافز الثانوية فـى التنظيمات الاجتماعية المعاصـرة دورا خطيرا . معنى ذلك أن سلوك الافراد يتشكل بالاساس لا من حاجات بيلوجية بل مـن حوافز ثانويـة هى عرضـة للتغيـر والتحكم فيهـــا .

ـ 2 ـ **الدلالة والعلامة والاشارة :** الحافز يدفع الشخص الى اتخاذ هذا السلوك أو ذاك ، أما الاشارة ، فهى التى تحدد طبيعة هذه الاستجابة ، وزمنها ومكانهـا . مثال ذلك جـرس الغذاء هو الاشارة التى تجعل التلميذ الجائع يطوى كتبه فـى محفظته ويخرج لمجته منها وقد تكـون الاشارة ذات طبيعـة سمعية أو بصريـة أو لمسيـة كما أنها تختلف فـى الشـدة والضعف والبساطة والتقيد .

والاشارة بامكانهـا اذا توفرت فيهـا بعض الشـروط أن تصبح حافزا .

ـ 3 ـ **الاستجابة :** هى ما يصدر عـن الكائن الحـى من أعمال وأفكار وانفعالات نتيجـة لمثيـرات أو مجموعـة مـن المثيرات . ويسهل تعلم أى نمط مـن الاستجابـات اذا أعقبته مكافاة ، أى أن المكافأة تعزز وتدعم الاستجابة . ثم ان تعزيز الاستجابة يجعلها تحتل مركزا هاما فـى « التنظيم الهرمـى الاولى للاستجابات وتسمى الاستجابات التى تنتج عـن الخبرة والتعلم « بالتنظيم الهرمى المكتسب » وتسمـى الاستجابـات الناتجـة عن عوامـل وراثية « بالتنظيم الهرمـى الفطـرى »

ـ 4 ـ **التدعيم أو المكافأة** : بالاضافة الى الدور الذى ذكرناه عن المكافأة (عندما تعرضنا للاستجابة) يعتبر « دولارد وميللر » ان احتمال تكرار الاستجابات ، أو احتمال التغيير من نظامها فى التنظيم الهرمى للاستجابات انما يرتكز على ما اذا كانت الاستجابة معززة أم لا . لانه وفى صورة عدم مكافأة الاستجابة فان شدة الحافز لدى الشخص تنخفض ، وكنتيجة لذلك يزداد ميله الى تكرار نفس الاستجابة الى نفس المثيرات . ومن ثم يؤدى تعزيز الاستجابات الى خفض الحافز وبالتالى خفض درجة التوتر المتولدة عن الحافز مما يساعد على التعلم .

أما الانطفاء فهو الاستبعاد التدريجى للاتيان باستجابة ويحدث الانطفاء عندما تتكرر الاستجابة بدون ان يقع تدعيمها . وبضعف الحافز . وبالفترة الزمنية بين محاولات الانطفاء والاستجابات البديلة القوية .

نمر الآن الى أسلوب العلاج المقترح من طرف « دولارد وميللر » . وهذا العلاج يرتكز على عملتين هامتين وهما : التعميم والتمييز .

أولا : التعميم : ويعنى أنه حينما يتم اشتراط الاستجابة الى مثير معين ، فان المثيرات الاخرى المشابهة للمثير الاصلى تصبح لها القدرة على استدعاء نفس الاستجابة ، ومثال ذلك أن تعلم الخوف من نوع من الحيوانات ينتج عنه حتما الخوف من كل الحيوانات المشابهة خاصة بالنسبة للطفل الصغير الذى يفتقر الى ملكة التمييز بين انواع المثيرات .

ثانيا : التمييز : وهو تفريق الكائن بين جملة مثيرات وبين المثير المعزز أى أنه لا يستجيب الا للمثير المعزز

معنى ذلك ان الاستجابات المعززة تبقى والاستجابات غير المعززة تنطفىء ، ويعتبر التمييز عملية متقدمة بالنسبة لعملية التعميم لانها اكثر تخصصا .

وقد اقترح « دولارد وميللر » نظرية لتفسير اضطرابات الشخصية تقول بان الاضطرابات الشخصية هى نتيجة لتعلم خاطىء لاساليب التوافق مع البيئة ، ويكتسب السلوك المرضى خلال مرحلة الطفولة المبكرة ، بسبب الصراعات الاجتماعية التى يعيشها الطفل ، واقتداء بالاشخاص المحيطين به وخاصة الابوين ، فممارسة الابوين لاساليب تربوية خاطئة ينشأ عنها الصراع المتمثل فى عدة أنواع من الاضطرابات . ويتكون هذا الصراع لدى الطفل بسبب التعارض بين استجابات اشباع المتطلبات البيلوجية وبين الاستجابة لمثيرات البيئة الاجتماعية التى تحول دون اشباع هذه المتطلبات . مما قد يؤدى الى الشعور بالخوف وعدم الجدوى والضياع والذنب الخ .. ولكى يتجنب الطفل هذه الاحاسيس السلبية فانه يلجأ الى كبتها . فمثلا قد يترتب على عقاب الابوين لطفلهما عند العبث بعضوه التناسلى أن يصبح الحافز الجنسى مثيرا للخوف ، ويرجع ذلك الى حالة الصراع بين شدة الدافع الجنسى من ناحية والخوف من اشباعه من ناحية ثانية ، وهذا ما يسمى بصراع الاقدام والاحجام . ولا يتوقف الامر عند هذه النتيجة . فطبقا لمبدأ التعميم المذكور ، وقد تعمم استجابة الخوف من الاب لاقترانه بعملية العقاب وقد يشمل التعميم المكان الذى نفذ فيه العقاب ، وكذلك وسيلة العقاب ، وكل المثيرات التى لها اتصال بمثالنا المقترح .

بايجاز ان التلازم بين الصراع والكبت يؤدى الـى ظهور اعراض اضطرابات الشخصية التى تخضع فى تكوينها لعملية التعلم . وهذه الاعراض تتمثـل بالخصوص فـى سوء تكيف الشخص مع نفسه ومع الآخرين .

ثم يحدد « ميللر » أربعة انواع للصراع وهى :

ـ أ ـ صراع الاقدام ـ الاقـدام .

وفيه يكون الشخص مشدودا بين بديلين مرغوبين ـ على الاقـل ـ ومثاله الشخص الـذى يرغـب فـى الزواج وفـى التفرغ لاستكمال تعلمه .

ـ ب ـ صراع الاحجام ـ الاحجام :

وفيه يكون الشخص مشدودا بين بديلين غيـر مرغوبيـن مثال ذلك الصبر على آلام الاسنان أو قلعها .

جـ ـ صراع الاقدام ـ الاحجام :

يتكـون نتيجة لوجود اهداف ايجابيـة وسلبية فى نفس الوقت ، ومثاله تناول اطعمة دسمة ، والاحجام عنها خوفا من السمنة .

ـ د ـ صراع الاقدام ـ الاحجام . (المزدوج) :

ومثالـه الشـاب الذى يقبل على الزواج وهـو مشـدود باتجاهين كـل منهما له سلبياته وايجابياتـه ، فهل يتزوج ويحظى بحياة مستقرة وبانجاب الاطفال (خصائص ايجابية) ولكنه يتخلى فى نفس الوقت عن حياة اللهو والمرح (خصائص سلبية) أو هـل يبقـى أعـزب محتفظـا بحريته (خصـائص ايجابية) ولكنه يعانى من الوحدة (خصائص سلبيـة) ؟ .

وأخيرا فان « دولارد وميللر » يحددان المبادىء التى تفسر الصراع على ضوء قوانين التعلم وهـــى :

ـ أ ـ يزداد الميل الى الاقدام نحو الهدف كلمـــا اقترب الشخص من الهدف وهو ما يشار اليه « بمدرج الاقدام » .

ـ ب ـ يزداد الميل الى تجنب مثير سلبـــى كلما اقترب الشخص من المثير وهو ما يشار اليـــه بـــ « مدرج الاحجام »

ـ جـ ـ تزداد قوة الميل الى الاحجام بدرجة أسرع من الميل الى الاقدام كلما اقترب الشخص من الهدف .

ـ د ـ تؤدى الزيادة فى الحافز المـــرتبطة إما بالاقـــدام أو الاحجام الى رفع المستوى العـــام لمدرج الاقدام أو لمـــدرج الاحجـــام .

ـ هـ ـ حينما يكون هناك ميلان الى السلوك فى حالـــة من التنافس ، فان الميل الاقوى الى السلوك هو الذى يحدث .

3 ـ ل. س. واطســـون وتعديـــل سلـــوك الاطفـــال :

أولا : أهمية تعديل السلوك :

أ ـ **مبـدأ التدعيـم :** ويقرر بـــأن نتائج أفعالنـــا ، أو سلوكنا ، تحدد ما اذا كنا نكرر هذا السلوك أو لا نكرره .

فـــاذا سأل طفـــل سؤالا ذكيا فـــى القسم ورأى من مدرسه تقديرا لذلـــك ، فسوف يكون هذا دافعا له ، ليسأل اسئلـــة ذكية فى الدروس مستقبلا .

بصفـة عامـة ، يقول مبدأ التدعيم : إنه اذا كانـت نتائج السلوك ايجابية فمن المحتمل ان يتكرر هذا السلـوك ، أما اذا كانت نتائجه سلبية فالغالب أنه لن يتكرر .

ب ـ **مبـدأ تحكم المنبـه** : ويقرر بـأن مفاتيح معينـة ، أو أجزاء من البيئة التـى نعيش فيها تحـدد الاشيـاء التـى نفعلها .. ومتى نفعلها .

وتسهم مبادىء التشريط الفعال عند تطبيقها عفويا ، فـى نمو الطفل سويا ، وفى تكيفه مع المجتمع الذى يعيش فيه . لكن التطبيق العفوى قد يؤدى أيضا الى عدم التكيف ويخلـق للطفل مشكلات فى المدرسـة ويؤدى الى مشكلات انفعاليـة وسلوكية . امـا إذا طبقنا مبادىء التشريط الفعـال بطريقـة منظمة ، فقد تسهم كثيرا فـى احداث النمو السوى ، وتقلـل من المشكلات الاجتماعية السلوكية . وهذا ما يجب أن نفعله مع الاطفال المصابين بالتخلف العقلى والفصام ، اذ المفروض أن نستخدم طريقة التطبيق المنظم للتشريط الفعال من أجل تعديل سلوكهـــم .

الاطفال المتخلفون عقليا ، أو الفصاميون يتميزون بسلوك أقل من الاطفـال الاسوياء . فالطفل خفيـف التخلف يشابـه تقريبا الطفل السوى فيمـا عدا أن محصوله اللغوى أقـل ، وحكمه على الامور ليس جيدا كما بالنسبة للسوى .

أما الطفل متوسط التخلف فهو لا يتصف فقط بما ذكرناه بل وايضا ببطء الحركـــة .

بالاضافة الى كل هذا يتصف الطفل شديد التخلف وعميقه بسلوك بدائـى جدا فمثلا يستطيع أن يأكل ، لكنه قد يأكـل

العيدان ، أو الاوساخ ، أو حتى البراز كما أنه يتبرز ويتبول في ثيابــه وقد يلجــأ شديد التخلف الــى خبط الرأس علــى الحائط وقس على ذلك ..

ثانيا : العلاج النفسى التربــوى لفصــام الاطفــال والتخلــف العقــلى واضطرابــات السلــوك :

يعتبر التخلف العقلــى والفصــام متشابهيــن ، من وجهة النظر السلوكية ، ويتصفان بصفتين هما :

أ ــ ان سلوك هؤلاء الاطفال أقل نضجا من سلوك الاطفال الاسوياء فى سنهـــم .

ب ــ ان كثيرا من سلوكهم غير مقبول اجتماعيا .

وعادة ، متى تم تشخيص الاطفال على أنهم فصاميون ، أو متخلفون عقليا ، تنقص فرصهم فــى الانتفاع مــن الخبــرات التربوية المعتادة ويحدث ذلك لسببين :

الاول : أن الوالديــن ، حين يعرفان طفلهما بأنــه متخلف عقليا ، أو فصامى يقل حماسهما نحوه ، ولا يوفران له فرص التعلم المتوفرة لغيره من الاطفال الاسوياء .

والثانى : يأس الامهات والمعلمين والمربين ، من الاطفــال المتخلفين ، لكونهم سلبييــن أو لامباليــن ، والتوقف بالتالــى عن تعليمهم .

أما العلاج التربوى فيتم وفق ما يلى :

ـ 1 ـ تعليم المريض انواعا من السلوك للتغلب على مشكلة اضطراب السلوك لديه .

ـ 2 ـ تعليمه حسن التصرف فى الظروف الاجتماعية المناسبة على مشكلة السلوك غير المناسب ، اى ينبغى أن نعلمه كيف يخلع ملابسه فحسب ، بل يجب تعليمه متى ، ولماذا ؟ وكيف ؟ يخلعها .. ولا يكفى ان نعلمه الكلام بل يجب تعليمه متى يتكلم واين يقول كلمات أو جمل معينة الخ ..

وهدف العلاج النفسى التربوى فى ميدان السلوك هو زيادة الحصول السلوكى للطفل أو جعل السلوك مقبولا اجتماعيا ومناسبا .

وطريقة التشريط الفعال فى تعديل السلوك طريقة متخصصة ومناسبة لتشكيل سلوك المتخلفين عقليا والفصاميين للاسباب التالية :

ـ أ ـ تدفع الطفل السلبى أو اللامبالى لكى يتعلم .

ـ ب ـ تقدم التقنيات للقضاء على أشكال السلوك غير المرغوبة ، مثل الهيجان الحاد والثورة الانفعالية .

ـ جـ ـ لا تتطلب رصيدا لغويا من الطفل ، بل من الممكن استعمالها مع الصم .

ـ د ـ لا تتطلب حدا أدنى من المحصول التربوى والخبرة .

ـ هـ ـ تبسط العملية التربوية .

ـ و ـ يتقدم التدريب تبعا للنتائج المتحصل عليها .

ثالثا : التشريط الفعال تهتم هذه الطريقة بتنمية السلوك الارادى لدى الاطفال مثل المشى والاكل والركوب .. وهذا ما يتحكم فيه الطفل مباشرة . ويقابله السلوك المنعكس الذى لا يتحكم فيه الطفل مثل افراز اللعاب والهضم الخ ..

رابعا : تشكيل السلوك :

ويقوم على مبدأين أساسيين للتشريط الفعال ، هما التقريب المتتابع والمتسلسل .

يستمر التدريب طبقا لطاقة الطفل على استعابه .. ولنأخذ ارتداء الثياب كمثال . فما الهدف من تدريب الطفل على ارتداء ثيابه ؟.. الهدف من ذلك هو أن نجعل الطفل يرتدى ثيابه متى شاء ودون ان يطالب بذلك .

وقبل ان نبدأ فى التدريب يجب :

أولا : تحديد مستوى الطفل السلوكى الحالى ، وهذا المستوى يطلق عليه المستوى الفعال .

ثانيا : اختيار مراحل ـ أو خطوات ـ التدريب التى تكون النمط السلوكى ...

وتتمثل هذه المراحل فى :

ـ أ ـ التعرف على الطفل والتودد له .

ـ ب ـ معرفة رغبات الطفل لتقديمها كمدعمات .

ـ جـ ـ الانتباه .

ـ د ـ جعل الطفل يستسيغ ويفهم تعليمات بسيطة .

ـ هـ ـ تحديد المستوى الفعال للطفل .

ـ و ـ تشكيل أجزاء السلوك ، مثل ارتداء القميص باستخدام التقريب المتتابع .
ـ ز ـ تشكيل التتابع السلوكي المركب ، مثل ارتداء الثياب جملة باستعمال التسلسل .

خامسا : التدعيم :

يتوقف نجاح أو فشل أي تعديل للسلوك على فاعلية التدعيمات المستخدمة .

وأشكال التدعيم المستخدمة لتدريب المتخلف عقليا والفصامي هي :

ـ أ ـ الحلويات والمشروبات واللعب ...

ـ ب ـ الاطراء ، والشكر . التربيت على الظهر ، الاحتضان .

ولذا من المفروض اختيار تدعيمات لكل طفل على حدة ، بحيث تكون على قوة كافية تجعله يستجيب للتعليمات الصادرة اليه ، للقيام بواجبات محددة . وكلما كان التدعيم مرغوبا من الطفل ، كان مستعدا لتنفيذ ما يطلب منه .

والتدعيم المشروط يستعمل لتدريب الاطفال على أشكال سلوكية جديدة عنهم ، وتكون مقترنة بالشرط أو الاقتران ، اعتبارا أن الطفل يتعلم السلوك الجديد من أجل الحصول على المكافأة .

ولاستخدام التدعيم استخداما فعالا ، لا بد من توفر شروط أربعة تحدد مدى فاعلية التدعيم في التحكم في السلوك ، وهي :

1) الشىء المستخدم كتدعيم .

2) الفترة الزمنية بين حـدوث السلوك وتقديم التدعيـم للطفـــل .

3) طول الوقت الذى حرم منه الطفل من التدعيم .

4) حجـم التدعيم .

وقد تبين أن :

ـ أ ـ التدعيم ضرورى لاحداث التعلم .

ـ ب ـ الحرمان يجعل الطفل يعمل بجدية أكبر للحصول على التدعيم .

ـ جـ ـ يؤثر التدعيم على ما يعمله الطفل ، فى الوقـت الذى يحصل منه عليه ، فـاذا لم يقدم مباشرة وفورا ، فـان الطفل يتعلم ببطء ، أو يتعلم سلوكا غير مبرمج .

سادسا : معوقـات السلـوك :

عندمـا ترغب فـــى التحكـم فـــى سلــوك سلبـــى ، مثـــل التحطيـم أو العدوانية ضـد اطفال آخريـن او ايـــذاء النفس ، هنالك ثلاث خطوات رئيسية يمكن اتباعها :

أولا : حفض حالات الحرمان النفسى البيلوجى .

ثانيا : تعليم الطفل طريقة هادئة للتعبير عن غضبه .

ثالثـا : استغلال الاساليب المصممة خصيصـا لاستبعاد السلوك المرضى وهى :

1) الانطفاء ، 2) التشبـع ، 3) تجنب الموقـف المثيـر 4) تشريط السلوك غير المرغوب فيه 5) استخدام العقاب .

ـ خفض حالات الحرمان البيلوجـى لدى كـل الاطفـال ، حاجات نفسية بيلوجية ، يجـب ان تشبع بشكـل منتظـم ، وهذه الحاجات هـى :

أ ـ الحاجة للاهتمام من طرف الآباء والمربين الخ ..
ب ـ الحاجة لارضاء حب الاطلاع .
ج ـ الحاجة لبذل الجهد الجسمى .
د ـ الحاجة لاستقرار الطقس (درجة حرارية مريحة) .
هـ ـ الحاجة للتبول وافراز البراز .
و ـ الحاجة للطعام والماء .
ز ـ الحاجة لخفض أو ازالة التعب .
ح ـ الحاجة لارضاء الدافع الجنسي (وهذا عند البلوغ) .

وبالامكان اتخاذ ثلاث خطوات ، لخفض الاحباط عند الاطفال وهـى :

ـ 1 ـ وجوب اتخاذ الخطوات اللازمة لزيادة تحمل الطفل للاحباط .

ـ 2 ـ وجوب اتخاذ الخطوات المؤدية لاستبعاد أى ضغط غير معقول على الطفل .

ـ 3 ـ وجوب تعليم الطفل طريقة سلمية للتعبير عن غضبه .

ـ أساليب استبعاد السلوك غير المرغوب :

ـ 1 ـ **الانطفاء** : ويتمثل فى تجاهل الطفل عندما يقوم بعمل غير مرغوب فيه . وهذا التجاهل يوقف السلوك الخاطىء تدريجيا .

ـ 2 ـ **التشبع** : ويتمثل فى اتاحة الفرصة للطفل لكى يرضى حب الاستطلاع عنده بطرق سليمة . لان الاشباع أو التشبع يعرقل السلوك غير المرغوب فيه ، أو حتى يوقفه .

ـ 3 ـ **تجنب الموقف المثير** : ويتم بواسطة تجنب الظروف التى ينتج عنها السلوك غير المرغوب . فمثلا قد

يضرب طفل طفلا أصغر منه ، الى أن يصبح الثانى فى حالة من التوتر تجعله يخبط رأسه مثلا ، ووسيلة اعاقة هذا السلوك السلبى عند الطفل الثانى تتمثل فى منع الطفل العدوانى من ضربه ومعاكسته .

ـ 4 ـ **تشريط السلوك المخالف** : ومعناه تعويد الطفل المضطرب على تعلم سلوك جديد عوضا عن آخر مرضى ، فمثلا اذا كان لدينا طفل يتهته ، فان طريقة الغاء هذه التهتهة هى فقط تعليمه الكلام بفصاحة لان الفصاحة مضادة للتهتهة ، وباستطاعة الطفل ان يستعمل احداهما دون الاخرى لكنه لا يستطيع أن ياتيهما معا .

ـ 5 ـ **استخدام العقاب** : وهنا يعنى العقاب العلاجى لا الانتقامى ، والعقاب عادة يعرقل السلوك أو حتى يلغيه . ويستخدم فى وقت استجابة غير مرغوبة . وهو يتمثل فى رفع الطفل مقلوبا ورأسه لاسفل أو رش وجهه بالماء البارد ، أو تقييد حريته ... لكن بدون الاضرار الجسدى .

سابعا : تحكم المنبهات :

وهو يعنى السيطرة على المنبهات البيئية وغيرها ، وكل تغير فيها يجب أن يحدث تدريجيا ، فى المنزل وفى المدرسة ... اى ضرورة المحافظة نسبيا على الروتين اليومى لكى لا يصطدم المتخلف عقليا أو الفصامى بهذا التغير المفاجىء .

ـ 1 ـ **الانتباه** : ومعناه ان الطفل لن يتعلم أى سلوك جديد ، اذا كان لا يولى انتباها للعلامات الدالة المستعملة فى محاولة التحكم فى سلوكه ... وعلى المربى أن يتأكد من

شيئين ، أن الطفل يعطيه انتباهه ، وأنه منتبـه بالضبط لما يريد ان ينبهه اليه .

ـ 2 ـ **الزوال والتلقين** : الزوال عبارة عـن عملية تغيير الدلائل والعلامات فـى بيئة الطفل تدريجيا ، والتلقين عبـارة عن مد الاطفـال بعلامات خاصة توجه انتباههـم نحو العمـل الذى يرغب المربى فى أن يلقنهم اياه .

والهـدف من الزوال والتلقيـن هو توجيـه سلوك الطفل الوجهة السليمة خلال التعليم .

ويقول ل . س . واطسـون ، انه اذا أردنا أن ننجـح فى تعديـل سلوك الاطفال مضطربـى الشخصية علينـا استخدام أساليب تسجيل البيانات ، لتدوين ملاحظات كل خطوة تقدم لهم . لكى نتمكن بثبات وبدقـة من تحديد التقدم الحاصـل لا بد من استغلال اربعة انواع من اساليب تسجيل البيانـات وهى :

1) تسجيل بيانات التكـرار .

2) تسجيل بيانات الاستمرار .

3) تسجيل البيانات الكيفية .

4) تسجيل البيانات التشخيصية .

على امتداد هذا الكتاب وفى كـل فصوله ، قدمت عرضا وجيزا لكنه مكثف لاهم خصوصيـات الشخصية ، طبيعتها ، أشكالها ، اضطراباتها ، نظريات الطباع ، نظريات الشخصية من أوجه نظـر مختلفة ، غربية واسلامية عربية ، معتمدا على أهم المراجع العلمية التى كتبت فـى هذا الصدد ، حوصلة ،

وترجمة واقتباسا ، واستشهادا ، بكل حياد وبكل موضوعية وبكل أمانة ، وبدون أن أتعرض لها بالنقد وبدون الحكم لها أو عليها ، أي كما عرضها اصحابها بالضبط وكان هدفي هو التثقيف والاخبار ، لا التدخل وتصدير الاحكام . هذا لا يعني انني لن اقوم بعملية نقدية ، لان هذه المهمة خصصت لها الملحق الاول من هذا الكتاب ، والذى هو تحت عنوان « الشخصية من منظور الكرنوبسكلوجيا » حيث قدمت وجهة نظرى فى الشخصية وفى تعديل السلوك ، بالاضافة لنقدى لكل القضايا والمفاهيم والمواضيع التى تعرضت لها فى كتابى هذا .

ملاحظة أخيرة وهى أن وصفى للحالات (اليقظة ، الفصام ، الطرح ، النيام ، الهستيريا الخ ..) يتم باطنيا ، اى تيار الشعور المتقلب والمتبدل تبعا للحالات ، فهو تارة احلام وتارة هلاوس وتارة تخيلات وذكريات الخ ... كما يتم هذا الوصف خارجيا ، أي وصف الهيئة التى عليها الجسد ، وفى كلا الوصفين لم اتدخل بالتحوير أو بالاضافة او بالحذف ، بل اقتصرت على الاعمال التى وضعت لهذا الغرض ، والتى وضعها الاخصائيون من علماء نفس وأطباء الخ .. متحاشيا أحكام القيمة والاحكام التفاضلية .

وقد توسعت قليلا عند طرقى لبعض المفاهيم أو القضايا كما حدث بالنسبة للمدرسة السلوكية ، وذلك راجع لان هذه المدرسة مجهولة « للفرونكونيين » بالمقارنة لمدرسة التحليل النفسى مثل التى اكتفيت بعرض أهم مفاهيمها وباقتضاب .

ملحق

الشخصية وتعديل السلوك من منظور الكرنوبسكلوجيا

① قضايا أساسية 147

② النظريات الاساسية 158

③ تعديل السلوك من وجهة نظر « علم النفس الزمنى » 171

1 ـ قضايا أساسية

★ **أولا** : ان انقسام علم النفس الى ثلاثة فروع هو انقسام اصطناعى وعفوى وليس هنالك ما يبرره طبيعيا وعلميا ، فكل من هذه العلوم اكتفى بدراسة نوع خاص من الحالات النفسية أو بحالة واحدة ضاربا عرض الحائط ببقية الحالات الاخرى التى هى أكثر من ثلاثين حالة . فعلم النفس السوى بحث فى عمل ملكات الجهاز النفسى وما ينتج عنها من سلوك فى حالة اليقظة الواعية . وعلم النفس المرضى بحث فى ملكات الجهاز النفسى وما ينتج عنها من سلوك فى حالات اضطراب الشخصية . وما بعد علم النفس بحث فى عمل ملكات الجهاز النفسى وما ينتج عنها فى حالات الطرح .

معنى ذلك ان كل هذه العلوم نظرت للنفس نظرة جانبية أو جزئية ومحصورة ولم تهتم بكل خاصياتها ومميزاتها وحالاتها . والغلطة الفادحة التى وقعت فيها كل هذه العلوم هى اعتقادها بأنها تدرس فى ملكات وظواهر ليس لها اى ارتباط مع بعضها البعض مع انها فى الواقع تدرس فى نفس الملكات أو بأكثر دقة فى عمل الملكات المتغير فى كل حالة لان كل حالة هى عبارة عن تغير كمى فى عمل الملكات . فمثلا الفرق الرئيسى الموجود بين حالة اليقظة الواعية وحالة الفصام هو الفرق الموجود بين عمل ملكة الحس الادراكى فى الحالتين .

وللجهاز النفسى أربع ملكات وهى : الحس الانفعالى، والحس الادراكى ، والذاكرة ، والجد ـ التى هى فى آخر الامر مجرد ملكة واحدة ـ وعمل هذه الملكات يتغير كميا لا كيفيا وذلك تبعا للحالات ، معنى ذلك أن الملكات المذكورة مطاطية ولها قابلية مضاعفة قدراتها وعملها ـ أو نشاطها ـ أو اضعافهما وكل تغير يحدث على مستوى الملكات ينتج عنه تغير فى سلوك وشخصية وميول الشخص . فبالنسبة لملكة الادراك الحسى (التى يقسمها علماء النفس الى ملكتين الحس والادراك) التى تميز حالة اليقظة الواعية يتسع عملها وتمتد طاقاتها فى حالة الطرح الوساطى وتصبح ما يسمى بظاهرة الادراك المغناطيسى : التخاطر وبدرجة أعمق الاستشفاف وبالنسبة لملكة الحس الانفعالى (التى تقسم الى لذة وألم وهيجان وعواطف واهواء نجدها متغيرة تبعا للحالات ، فمثلا الخوف الذى هو ظاهرة حسية انفعالية تبرز فى حالة اليقظة الواعية ، تصبح فى حالة العصاب قلقا عصابيا أو عصاب الفعل الاضطرارى القهرى ، أو عصابا وسواسيا انحصاريا وذلك تبعا لعمق الحالة) ومن الملاحظ هنا أن العصاب هو درجة من درجات حالة اليقظة الواعية . وتصبح فى البارانويا هذيان اضطهاد وتتبع ، وتصبح فى حالة الهوس والاكتئاب ظاهرة اكتئاب وانهباط شديد ، وتصبح فى حالة الفصام سوادا وانطوائية مطبقة . وبالنسبة لملكة الجسد ، التى بامكانها اتخاذ كل حالات العناصر من سيولة وكثافة وغازية فانها تلعب دور الآلة فى حالة اليقظة الواعية ، وتفقد هذه الوظيفة فى حالة الطرح الوساطى التى يشغلها الجهاز النفسى ككل الـخ ..

★ **ثانيـا :** ليست هذه العلوم جزئية وفرعية فقط ـ كما سبق وقلنا ـ بل وأيضا نجد مشاكل أخرى لا تقل خطرا عن تجزئتها ، سنحاول حصر أهمها بالنسبة لكل علم من العلوم المذكورة .

ـ 1 ـ **بالنسبـة لعلم النفس السوى :** نجده ينقسم على نفسه ، وكل قسمة منه تنظـر لنفس الحالة المدروسـة من زاوية مختلفة أو متباينة أو حتى متناقضة فهو ينقسم بحسب المبـادىء التـى يقوم عليها الـى علـم النفس السلوكـى ، والفزيلوجى والغرضى والتكوينى و « الجشطلى » والتحليـل النفسى ... وبحسـب موضوعاتـه الـى علـم النفس العـام والاجتماعى والتربوى والصناعـى والمرضـى والطفلـى ... وبحسب مناهجه الى نظـرى وتجريبى وتحليلـى واحصائـى واكلينيكـى ... ثم ينقسم الـى مدارس متعـددة ، أبرزهـا السلوكية و « الجشطلت » والتحليل النفسـى والظواهريـة والاستبطانية ...

ثم ان هذا العلم توقـف عـن التطور وذلـك منذ انبعاثـه تقريبا ، اى انه انتهى بانتهاء فشنار وفاندت وريبـو وبيرون وبينات وسيمون وقالتون وكولب وكاتيـل ووليـام جيمس وموريـنو وباركس وتورنديـك وبرقسن وبافلوف وقلة أخرى غيرهم . واكتفى اللاحقون بالقيام بعمليات اجترارية مملـة أو تقليدية ببغائية ، والسبب فى هذا التخشب يرجع الى طبيعة علم النفس لان المتأخرين لم يجدوا ما يضيفونه لعدم اتساع مجال حالة واحدة خاض فيها الرواد الاوائل ..

ـ 2 ـ **بالنسبة لعلم النفس المرضي :** ينقسم بدوره الى عدة تيارات يفسر كل واحد منها طبيعة وأسباب حالتي العصاب والذهان فمثلا يعتبر التيار الكلاسيكي الفزيلوجي أن هذه الحالات هي مرضية عضوية وأسبابها ترجع الى خلل أو اضطراب يصيب الدماغ أو المزاج العام للشخص وأن هذه الامراض لا تستهدف الا بعض الاشخاص الذين لهم استعدادات جسدية وراثية .

ويفسر التحليل النفسي الفرويدي بروز الحالات ، بانه أثناء النمو الجنسي يقع خلل يعرقل تطور احدى مراحله فينتج عن ذلك تطور غير سوى للجانب الجنسي من الشخصية تنتج عنه حياة انفعالية غير ناضجة تتمثل في أعراض العصاب أو الذهان .

والتيار النافي جملة للحالتين المذكورتين يبرر ذلك على النحو التالي ، ان الامراض العقلية هي مجرد وهم . أوجدها المجتمع ثم الصقها بشواذه . والشذوذ بالنسبة لهذا التيار هي عملية تحرر من أمراض حضارية تكبل المجتمع والعائلة وكل شخص اعتبره المجتمع مريضا عقليا هو شخص في طريق الشفاء من الامراض الاجتماعية .

ويرد التيار الاجتماعي أسباب الذهان والعصاب الى عوامل اجتماعية منها ، عدم الانسجام مع البيئة الثانية ومنها الادمان على الخمر والمخدرات ، ومنها المحيط العائلي المهترىء السقيم ومنها البطالة والنزوح والهجرة ، ومنها الشعور بهضم الجانب من طرف المجتمع ، ومنها النقمة على الوضع المادي والادبي ومنها الصدمات العاطفية .. الخ ..

كما ينقسم هـذا العلم الـى عدة مدارس منهـا الفرنسية والالمانيـة والانجلـو أمريكيـة والسوفياتية (تكاد أن تكون هنالك مدرسة لكل دولـة متقدمة . وكل مدرسة لهـا تقسيم خاص لظواهر واعراض وعوامل العصاب والذهان والاضطراب)

ـ 3 ـ **بالنسبة لما بعد علم النفس [الباراسكلوجيا]** فانه يصطرع مـع عـدة مشاكـل كلها خطيرة وأولها نكران علـم النفس له بعـد ان كان يتنكر له . وثانيها أن هـذا العلم لـم تتحدد بعد موضوعاته بالاجماع مـا عـدا ظاهـرتى البصـر المغناطيسـى وظاهرة التحكم فـى المادة بدون واسطة . وما تبقى من مظاهر فهى فى أخذ ورد بين المدارس . وثالث هذه المشاكل ان الرواد الذين اعتنوا بدراسة الظواهر التى تميز حالة الطـرح الوساطى لم يكـن القصد مـن دراستهم هذه ، وضع علم جديد بل كل ما حاولوا القيام به هو اثبات صحـة هذه الظواهر التى عاينوهـا أثناء الجلسات « الروحيـة » عن طريق وسطاء فـى حالـة طرح وساطى ، كدوقـلاس هـوم وفلورانس كوك ويوسابيا بلادينو وهم الاشهر ، ثم ان اغلبهم وان كان رائدا فى ميدان اختصاصه من امثال وليام كروكس وروسل والاس وشارل ريشى ، واليفر لودج فان احدا منهم لم يقدم جديدا يفوق ما هو متواتر عن الحضارات التى زالت أو يستخرج قانونا بل كلهم اكتفوا بجمع الظواهر وبتصنيفها وبوصفهـا وبتطويعهـا للتجربـة المعملية بعد ان كانت مـن مشمولات الروحيـة الحديثة التـى أحياها كرداك .وبالتالـى أثبتوا حقيقة حالـة الوساطـة بصفـة لـم تعد تدعو للشـك وبينوا انه لا دخل للعلوم الخفية أو للسحر أو لارواح الموتـى

فى حدوث هذه الحالة ، واقصى ما قام به البعض كروشا وبواراك والدكاترة جيلى وأوستى وقراسى هو تقديم افتراضات منعزلة ومعزولة .

★ **ثالثا :** كل العلوم المذكورة هى فى الحقيقة مجرد دراسات متقدمة لكنها غير مكتملة ، لاننا لا نجد من بينها من توجت بقوانين عامة أو حتى بنظريات كما هو الحال بالنسبة للعلوم الصحيحة من فيزياء وكيمياء بالاخص ، فحتى بالنسبة لعلم النفس الذى يعتبر اكثر تطورا لا توجد قوانين خاصة به بل كل التى يستعملها ـ أو بكلمة أدق يستغلها ـ تلتبس كلها بالقوانين الفزيلوجية ـ أو حتى الفيزيائية ـ من ناحية ومن ناحية ثانية تقتصر نجاعتها النسبية على حالة اليقظة الواعية ومن المستحيل ان تتعداها فمثلا القوانين التى وضعها بافلوف حول الانعكاس الشرطى ، أو قانون فيبروفشنار حول اظهار العلاقات الثابتة فى الاحساس عند تغيره تبعا لتغير مثير فيزيائى لهى تثبت ما ذهبنا اليه .

والاخطر من عدم اعتماد هذه العلوم على قوانين ونظريات هو اعتمادها اللامشروط على فرضيات وفى مقدمتها فرضية التحليل النفسى وفرضية السلوكية ، والاخطر من الكل هو اصدار هذه العلوم فى احكام تفاضلية على بعضها البعض وعلى بقية الحالات التى لم يقع الاعتناء بها بصفة جادة .

يتم وضع الفرضية من عناصر ذاتية بالاساس واذا صادف وان نجح واضعها فى ترويجها وفى تقبلها من الآخرين فانها تصبح قادرة على توجيه السلوك وبالتالى يصبح من السهل التدليل على صحتها ! ونجاعتها ! وتظهر وكأنها وجدت على أسس موضوعية ملموسة ، ومنها تصعد الى رتبة النظرية .

ولنضرب مثالا لذلك بعقدة « أوديب » الفرويدية . ابتدع فرويد أو وظف هذه الاسطورة بتحوير ، كما تبتدع القصيدة او اللوحة الزيتية ثم إن مدرسته وتلاميذه عملوا على ترويجها . وطبقا لقابلية الايحاء الموجودة عند الانسان ، اعتقد البعض بصحتها وبمصداقيتها ، فمثلا باطلاع اب وابنته على هذه الفرضية وبآليات الايحاء ـ المذكورة ـ اعتقدا انها ظاهرة مفروغ منها . ومن هنا اعتقد الاب بان ابنته تشعر نحوه بعاطفة جنسية ، واعتقدت الابنة بانها تكن لابيها هذه العاطفة ومن هنا أصبح التعامل بينهما أو سلوك احدهما نحو الآخر تتحكم فيه هذه العقدة الوهمية . وهذا ما يحدث الآن في الغرب ... وسيتسرب رويدا رويدا الى العالم الثالث وبكل نتائجه وانعكاساته على مستوى الاسرة والمجتمع .

وكل العلوم المذكورة ما تزال مرتبطة بالاخلاق ، فكل أحكامها هي تفاضلية ، قيمية ومنطلقة من السوي ، إن العناصر المكونة للشخصية ، والوظائف النفسية والعقلية تدرس من منطلق السواء والمرض والشذوذ وخرق العادة الخ .. أي بتفريق بين السوي وغير السوي ، والاشادة بقيمة السوي ـ أو السواء ـ وبجدواه بالنسبة للشخصية .

وكل هذه العلوم انطلقت من حالة الوعي وانتهت اليها معتبرة اياها الاساسي ، وغيرها من الحالات مجرد روافد لها أو فواصل عنها أو عراقيل لها .. أي تعتبرها هامشية ، تارة ، وتعتبرها ضارة ، تارة أخرى ، وتنفي وجودها تارة ثالثة ..

ومقاييس الشخصية هي أصلا وضعت للتفريق بين السوي وغير السوى ، لا لمعرفة اشمل واعمق للوظائف النفسية والعقلية ، وبالتالي لمعرفة أشمل واعمق وافضل للسلوك وللشخصية فى كل من حالات الجهاز النفسى .

التحليل النفسي والسلوكية والظواهرية والجشطلت هى مجرد فرضيات ذات منطلق فلسفى بحت . فالاولى عملت على وصف الذاكرة « الكامنة » واسمتها «اللاشعور الدينامى » والثانية حاولت تفسير البعض من نواحى السلوك بالاعتماد على ما يسميه الفلاسفة بالعادة واسمته هى « التعلم » والثالثة اهتمت بالشعور وبينت انه قصدى دائما بمعنى انه ليس مجرد وعاء لمجموع الخبرات الذهنية ، بل هو فعل يقصد او يتجه الى موضوع خارجا عنه ، وهذه مجرد وجهة نظر فلسفية ، وضعت لضرب غيرها أما الرابعة فقد عملت على اعطاء صورة جديدة لعمل الادراك متضادة مع الوجهة الفلسفية الانجليزية .

ثم ان السلوكية تزعم أن سلوكنا متعلم ، فمثلا تقول : إن الخواف (من الثعابين أو من الدم أو من الموت الخ ..) هو سلوك خاطيء أو مرضى متعلم ، وبالامكان القضاء عليه بتعديل جديد للسلوك ، لكن ما قولها فى هؤلاء الاشخاص الذين لهم استعداد طبيعي لبعض اشكال الخواف كما يلاحظ عليهم وهم بعد رضع فى شهرهم الاول وان هذا الخواف يتنقل معهم ويصاحبهم الى ارذل أعمارهم ، ولن يستطيعوا قهره مهما استعملوا الطرق السلوكية ؟ اين هوالخطأ اذن ؟ سأعطى الجواب فى الفقرات المقبلة .

ومن هنا الكل يشاطرنا الرأى عندما نقول انه ليس من العلم فى شيء القول بأن هذه الحالة سوية طبيعية وعادية وهذه مرضية وهذه قابلة للعلاج وهذه غير قابلة . وهذه نفسية وهذه عقلية وهذه لا تصيب الا بعض الذين لهم استعدادات وراثية أو جسدية ، وهذه شاذة ، وهذه خطرة على المجتمع ، أو على صاحبها . وهذه اصطناعية دخيلة طفيلية ، وهذه من تربصات حالة كذا ، وهذه من روافدها ، وهذه لا تفسير لها ، وهذه وهمية ، وهذه نصيب النساء اكثر ـ أو دون ـ الرجال ، وهذه لا تلاحظ الا عند البدائيين وهذه عمودية والاخرى أفقية ، وهذه فوقية والاخرى تحتية ، وامثال هذه الاحكام التى يصعب حصرها تعرقل جديا تقدم علم النفس الموحد وتضر به ضررا فادحا . ثم ان هذه العلوم عاجزة تماما على تفسير مئات الظواهر النفسية ـ كفقدان الذاكرة وعدم الاحساس بالالم ، وفقدان الحساسية العامة الى آخره ـ تفسيرا علميا .

نحن نعتقد أن علما للنفس لا بد أن يعتنى اعتناء تاما بكل الحالات النفسية وبكل خصائصها ومظاهرها دون ان يميز بين حالة وأخرى أو اهمال لاية حالة أو تجزئة ولو ظرفية ونسبية وان يعتمد على قوانين خاصة به وشمولية وعلى نظرية موحدة وهذا ما قمنا به عندما وضعنا علم النفس الزمني أو « الكرنوبسكلوجيا » .

رابعا : « الكرنوبسكلوجيا » هـي كلمـة مركبة تـم نحتها عن الاغريقية على المنوال التالى (Kronos) (زمن) و (Logos) (علـــم) و (Psuké) (نفس) وأقرب ترجمـة لها هى علم النفس الزمنـى . وهى دراسـة للنفس ولكـل حالاتها باعتبارهـا متغيـرة ، قابلـة للتغيـر وبالاستطاعـة تغييرها والحكم فيهـا . « والكرنوبيلوجيا » مـا هو الا واحد من روافد علـم النفس الزمنى لان هـدفه هـو دراسـة حالات الجسم المتغيرة فـى الزمان وفـى المكـان . والجسـم ما هو الا خاصيـة من خاصيات النفس او الطاقـة الحيوية أو الجهاز النفسى كما أسميه .

ان العلوم الثلاثة التى تم نقدها ، تخصصـت فى دراسة ملكات النفس من ذاكرة وذكاء وشعـور ومخيلـة واحسـاس وغيرهـا .. كملكات ثابتة مرتبطة بالدمـاغ والغـدد الخ .. وهى قابلـة للمرض والسواء والتسامى ولخرق العـادة فـى بعض الاحيان وتحت ظروف خاصة ، كمـا تقول بشعـور ولا شعور وبالعديد من الفرضيات الاخرى التـى تعرضنا اليهـا وهى تقسم الحالات ـ كما تنمط الشخصيات والطباع ـ الـى سوية ومرضية وتتجاهل البعض منها أو تنفيه نفيـا قطعيا . اما « الكرنوبسكلوجيا » ، فهـى ترتكز علـى الجهاز النفسـى (لا علـى الدماغ) الذى تعتبـره مجرد منطقـة تتكثف فيها الطاقة الحيوية فى بعض الحالات ، وبالاخص فى حالة اليقظة الواعية . وهذا التكثف الذى يسمى بالعقل هو الذى يكبح أو يحد من قابلية الايحاء التى لا حدود لها على الجهاز النفسـى فالعقل هو الذى يدخل الشك فـى بعض الامكانيـات ، وهو الذى يحد من الاعتقاد فى كـل شىء والعقل هـو الذى يساهم

فعليا فى تشكيل حالة اليقظة الواعية وفى كــل منجزاتها مــن لغة وعلم وفلسفة وتقنية الــخ .. وفاعلية العقل معدومة تماما فى بقية الحالات وهــو ما يلاحظــه الجميع فى حــالات النوم الايحائى مثلا ، وبتعطيل عمل العقل ، فــى الحالات الاخرى ، بالامكان التصرف فى الجهاز النفسى وفى تشكيله ، كذلــك بامكان الجهاز النفسى ان يتصرف كما يحلو له . ثم ان العقل بالامكان انتفاؤه أو الاستغناء عنه حتى فى حالة اليقظة، فتصبح بالتالى حالة مغلقة ، وهو ما يلاحظ عند الحيوان، الذى ليس فى الامكان ان يتواجد الا فى الحالات المغلقة ، كالفصام ، والنوم والصرع . وعلم النفس الزمنى يدرس ملكات الجهاز النفسى كلها بصفتها متغيرة .

والكرنوبسكلوجيا تعتمــد بالاســاس علــى نظرية وهــى : الجهاز النفسى وحالاته وملكاتــه وعلى قوانين تبرز خصائص الجهاز النفسى وحالاتــه . وأخرى تتحكم فيــه وفــى حالاته .

2 ـ النظريات الأساسية

ان الطاقة الحيوية ـ أو الجهاز النفسي ـ هي عبارة عن جسم يتركب من عنصر أدنى من عنصر الهدرجان بالنسبة لجدول « منداليف » . والطاقة الحيوية هي المركز الوحيد للاحساس والادراك والذاكرة والانفعالات من لذة والم وهيجان وعواطف واهواء . والتي تتلخص في أربع ملكات أساسية وهي الحس الانفعالي والحس الادراكي والذاكرة والجسد . ومن أهم خصائصها قيامها وهي خارج الجسد بكل ما تقوم به بمعيته وهي داخله . وهذا العمل هو ما يسمى بالقوة النفسية المحركة او التحكم في المادة بدون واسطة .

وللطاقة الحيوية خاصية أخرى مهمة وهي افرازها للجسم او جعله يتلاشى كليا أو جزئيا ، كما يلاحظ ذلك في حالة الوساطة مثلا ، والطاقة الحيوية تتميز بعدم الثبات اى ان كل ثبات ولو نسبي وآني وجزئي هو من المستحيل طبيعيا فهي في حالة مد وجزر متواصلين ومتتابعين وفي تنقل دوري من داخل الجسم الى خارجه والطاقة الحيوية قابلة للتشكل الى ما لا نهاية له من الصور والمظاهر كما لها قابلية الاختزان وقابلية اختراق كل شيء والنفاذ منه . ومن أهم خصائصها قابليتها للجذب (كما يلاحظ في المحبة وفي تكوين المجتمعات ..) وكذلك الدفع (كما يلاحظ في الكراهية والحروب ..) ولها قابلية مطلقة للايحاء فهي تتقبل كل شيء لكن في بعض الاحيان على مراحل وعلى فترات طويلة كما لها قابلية عكس كل ما يحيط بها فهي كالمرآة وما ظاهرة

اللغة الا نتيجة لذلك ومن ابرز خصائصها التعود والتكيف على كل شيء كما أنه بامكانها التكثف والتقلص والتمطط .

ان ملكات الجهاز النفسي التي هي الحس الانفعالي والحس الادراكي والذاكرة والجسد مطاطية ولها القدرة على الحركة وثباتها على وضع ما غير ممكن الا لمدة بعينها في حالة بعينها . وهذه الملكات لها قابلية مضاعفة قدراتها ونشاطها كما يلاحظ ذلك في ظاهرة البصر المغناطيسي والتخاطر التلباثي وبصفة عامة في كل الحالات المفتوحة . أو اضعاف قدرانها كما يلاحظ ذلك في كل الحالات المغقلة . ولكل ملكة دور خاص ومميز تلعبه في كل حالة وبالامكان أن تلعب نفس الملكة أدوارا متباينة نسبيا تبعا للحالات ولكل ملكة قطبان او حدان : ادنى واعلى . وعمل الملكات مرتبط بحالة الجهاز النفسي (من مد وجزر وتكثف وتمطط الخ ..) ثم ان مجمل هذه الملكات ليس ـ في آخر الامر ـ الا ملكة واحدة .

ونحوصل ما قلناه : للجهاز النفسي : اربع ملكات وهي الحس الانفعالي والحس الادراكي والذاكرة والجسد وله احدى عشر خاصية وهي :

1) قابلية المد والجزر .
2) قابلية التكثف والتمطط .
3) قابلية الجذب والدفع .
4) قابلية الايحاء والتعود .
5) قابلية التشكل .
6) قابلية الاختزان .
7) قابلية الانتشار والاختراق .

8) قابلية عكس الاشياء ، أو انعكاس الاشياء عليه .
9) قابلية النقل والايصال .
10) قابلية التحنيط والاشفاء .
11) قابلية التأثير على المحيط ـ المادى والنباتى والحيوانى ـ وقابلية التاثر به .

ان فزيلوجية الجسد وخصائصه الاخرى تتغير تبعا للحالات ، فملكة الجسد وعملها فى حالة اليقظة هى غيرها فى حالة التحجر مثلا ، مع الملاحظ ان الدماغ لا يحتوى على مراكز الذاكرة والاحساس واللذة والألم الخ ... بل إن الطاقة الحيوية تتكثف فيه وتتجمع أكثر من غيره من بقية الاعضاء .

لا تستطيع ان نقول : إن احاسيسنا والمحسوسات شىء واحد كذلك لا نستطيع ان نقول : إن كل الخاصيات مثل الطعم والصوت ... ليست فى الاشياء ذاتها بل فينا نحن أو ان هذه الخاصيات هى فى الاشياء المحسوسة أو هى موزعة بين ملكة الحس الادراكى والمحسوسات والواقع هو ان الحالة التى عليها الجهاز النفسى هى التى تعطى شكلا ومضمونا لاى محسوس أو ان كل تغير هو تغير للجهاز النفسى وكل تغير يعطينا عالما باطنيا أو خارجيا خاصا به ومغايرا لغيره والمحسوسات الخارجية وان كانت موجودة كما هى او على نمط آخر لا يهم ان قليلا او كثبرا . ومن الممكن ان تكون المحسوسات كذا او كذا او الشىء وضده . كذلك من الممكن تجريد المحسوسات من كل خاصياتها او مدها بخواص ليس فى الامكان الاحساس بها (بما فى ذلك ادراكها) فى حالة اليقظة مثال ذلك عندما نلاحظ جذب أو دفع محسوس بدون

أن نتبين كيفية حدوث ذلك (أى الواسطة) ، كما لا نستطيع أن نقول ان المحسوسات خارجة عنا فحالة النوم تكذبنا بل نقول هى هذا وذاك أو لا هذا ولا ذاك تبعا للحالات التى تضفى او تعطى خصائص المحسوسات وكذلك تفردها أو تمحورها أو تعطلها .

ما دمنا ندرك المحسوسات ـ فى حالة اليقظة ـ عن طريق الابصار واللمس والشم والذوق ... وبان هذه الملكات تتغير تبعا للحالات فان المحسوسات وتبعا لذلك أو كنتيجة لذلك تتغير بدورها .

وبالنسبة لكل الحالات فاننا لا نحس أو ندرك ماهية المحسوسات بل خصائصها من لون وطعم وثبات أو حركة وصلابة او سيولة وشكل ... اى ليس هنالك حالات تنفرد باضافة او باكتشاف خصائص أخرى للمحسوسات . هذا لا يعنى انه ليس فى الامكان التصرف المطلق فى الخصائص المذكورة .

ان مجموع الجهاز النفسى هو آلة حاسة ووسائط الاحساس أو قنواتها لا تنشط الا فى الحالات المفتوحة واهمها حالة اليقظة الواعية ، وحقل نشاط هذه القنوات (والعين ، الاذن ، الانف ...) محدود وضيق .

اما الجهاز النفسى ككل فهو فى حالة احساس متواصلة وعمليات الاحساس تتشكل تبعا لكل حالة فتارة هى صور وتارة هى افكار وتارة هى الوان وتارة هى اصوات وتارة هى روائح وتارة هى كل هذا او البعض من هذا . وتارة هى أحلام وثانية جلاء بصرى أو هلاوس وهكذا ..

ونشاط الحس الادراكي يتبدل باستمرار فتارة هو محزن واخرى مفرح وتارة هو حصرى وأخرى نشوى وتارة متحرك وأخرى هو عكس ذلك تماما .

والادراك أو الاحساس باى شيء ليس له اى معنى فى حد ذاته ، والحالات هي التى تطوع له معنـــى .

والزمان والمكان هما ارتباط بنمط بعينه مـــن الاحساس في حالة ما . ونفس الاحساس ما هو كذلك الا بالنسبة لحالة مـــا ولدرجة ما فى تلـــك الحالـــة اى ان كـــل حالة تميزهـــا احساسات بعينها .

كل ملكات الجهاز النفســـى موحدة وواحدة وهـــى درجـــات فالحس الانفعالى درجـــة والحس الادراكـــى درجة والذاكـــرة درجة والجسد درجة . ووظيفتهـــا تتنوع بتنـــوع الحـــالات ، وهى تقـــوم مقام بعضها البعض . وهـــى ذات مصـــدر واحد وجوهر واحد وطبيعة واحدة وهو الجهاز النفسى ككل وليس الدماغ أو غيره .

كل تغير يحدث علـــى مستوى الجهـــاز النفسى او علـــى مستوى عمل ملكاته تنتج عنه حالة .. ان الجهاز النفسى هو كتلة واحدة والحالات هي درجاتها ولا توجد سلسلة منظمـــة من حالات جزئية ملتصقة ببعضها البعض . ان الحالات التـــى يكون فيها الجهـــاز النفسى فـــى حالة جزر هـــى حالات مغلقة بالنسبة لجميع الحالات الاخرى وهى غير واعية بوجود حالات أخرى ولا بنفسها والحالات التى يكون فيها الجهاز النفســـى فى حالة مد هـــى حالات مفتوحة وواعية بنفسهـــا وبالحالات التى هى أقل منها تفتحا . أى أن كـــل حالة عليا باستطاعتهـــا الشعور بوجود حالة دنيا والعكس غير ممكن . والحالات تتأثر

ببعضها البعض لان مصدرها واحد فنلاحظ مثلا أن مفعول بعض الظواهر التي تميز حالة ما يستمر في حالة ثانية . ليس هنالك لا شعور بالنسبة لحالة بعينها . بل إن كل حالة عند بروزها هي حالة شعورية بالنسبة للجهاز النفسي وكل الحالات الاخرى بالنسبة لها هي حالات لا شعورية . فعندما نكون في حالة النوم مثلا فان حالة اليقظة الواعية هي حالة لا شعورية بالنسبة لحالة النوم المذكورة . لان الشخص يعتقد أثناء الحلم أنه يعيش واقعا ولا يخطر على باله أبدا وجود حالة تسمى حالة اليقظة الواعية . وقل هذا بالنسبة لمجمل الحالات .

ان كل الحالات متساوية طبيعيا وليس هنالك ما يفرق أو يميز بين حالة واخرى . وليست حالة اليقظة هي الحالة الاساسية والوحيدة والضرورية والكافية بالنسبة لاستمرار وظيفة الجهاز النفسي (وقل هذا بالنسبة لبقية الحالات) ولا تمتاز على بقية الحالات بشيء الا بظهورها (أو وجودها) فترات أطول من غيرها بسبب استمرار العوامل المتسببة في وجودها بصفة تكاد تكون مسترسلة ، واسترسال حالة ما لا يعني أنها أفضل من غيرها .

إن كل حالة من الحالات هي طبيعية ومستمرة بطبيعتها اذا كانت العوامل المتسببة في وجودها مستمرة أما العوامل التي تتسبب في وجود حالة ما ـ باستثناء التي ذكرناها ، او بالاضافة اليها ـ هي عوامل فيزيائية وبيلوجية وسكلوجية واجتماعية ، باطنية وخارجية ، طبيعية او مصطنعة ، عفوية أو شرطية ، سريعة أو بطيئة ، متواصلة نسبيا آنية وردود فعل كل الحالات لنفس العامل غير

متماثلة وفى بعض الاحيان تكون متضادة ، من المستحيل على حالة ما ابتداع ملكة خاصـة بها لكن بامكانها ابتـداع بعض الخواص التـى تميزها عـن سواها ، لكن هذه الخواص هـى موجودة بالفعل وبالقوة فى الجهاز النفسى ونفس الخاصيـة تتدرج صعودا أو نزولا تبعا للحالـة فمثلا الخـوف يصبـح خوافا وهذا يصبح قلـق رهاب وهـذا يصبح هذيان اضطهاد وهذا يصبح مانخوليا (سوادا) وهكذا ...

ولكل حالة عدة مستويات أو درجات فمثلا بالنسبة لحالة اليقظة الواعية نلاحظ الاستغـراق العميق والذهول واليقظـة نصـف الواعية والانتباه والانتبـاه الشديد والمركـز .. ثـم ان كل اعراض العصاب ، وكل عمليات التفكير الرفيع . هـى مجرد درجات لحالة اليقظـــة .

والحالات هى دائما فى حركـة دائبة ومستمرة فهى تتتابع وتتناوب بدونِ انقطاع . ان أيـة حالة تتغير فى المكان وفـى الزمان وبالنسبة للفرد الواحد وإن نفس الظاهـرة تفسرهـا كل حالة تفسيرا خاصا بها ، وان الامكان وعدم الامكان نسبى تبعـا للحالات ، وان كـل حالة اذا دامت تتسبب فـى انماط سلوكية من المعرفة خاصة بها ، فمثـلا : ان الفن هو نتيجـة لحالة اليقظة وحدها وانه لا معنى له ولا وجود له فى الحالات الاخرى ، الا فى حالة الفصـام ، وهو شكل آخـر . (والكل لاحظ أن الدين والعلم والفلسفـة لا وجود لها فـى الحـالات الاخـرى) (وان ظاهرة التحكم فى المـادة بـدون واسطـة وظاهرة البصر المغناطيسى والتخاطر التلباثى لا وجود لهـا فى حالة اليقظة الواعية مثلا) (وان حالة التركيب المطلـق التى تجعل مـن كل الظواهر منصهرة فـى بعضها البعض لا تبرز الا فى حالة الطرح الذهولى) وهكذا .

هنالك نوعان لتغيرات الحالات :

نوع التغير الاول ضرورى ويحدث تلقائيا وبصفة عفوية مثلا حالة اليقظة التى تتحول الى حالة النوم .

والنوع الثانى غير ضرورى لكنه طبيعى ويحدث اصطناعيا أو تلقائيا كحالة النيام المغناطيسى مثـلا .

لكل حالة حقل علمـى خاص بها ذو حدين أعلى وأدنى ولها خاصيات لا تشاركها فيها اية حالة أخرى .

أما حالات الجهاز النفسى الاساسية فهـى :

1) حالة النـوم ـ 2) حالة الصـرع ـ 3) حالـة الهـرع 4) حالـة الفصام ـ حـالـة اليقظـة ـ 5) حالـة النيام (المغناطيسـى) ـ 6) حالـة التخشـب (الشمنيـزم) ـ 7) حالة الطرح الوساطى ـ 8) حالة التسامى (وهى الطرح الذهولى والغبطى والواعى) .

أمـا الهستيريا والخـواف ، والبارانويـا ، والاكتئـاب ، والهوس ، والهذيان الادمانى ، والروبصة النومية ، واليقظـة الحـالمـة ، وازدواج الشخصيـة وكـل أشكـال الشـذوذ والانحـراف والاضطرابـات الـخ .. هـى مجـرد درجـات للحـالات الاساسية المذكـورة .

ولنتوسع أكثر بالادلة ، فنقول ، ان كل خصـائص الجهاز النفسـى تتغير تبعا للتغيرات التـى تحـدث فـى الجهـاز النفسى ، فمثلا فى حالة التسامى ، الدرجة الذهولية ، نجـد انه بامكـان الشخص ان يتصرف فـى كل خصائص جسـده (فزيلوجلة)ويطوعها ، كادرار العـرق الكثيـف فـى طقس مجحف البرودة ، أو الجلوس فـى حالة جسدية طبيعية فوق

قمم ثلجية والجسد عـار ، أو كجعـل حرارة الجسد ترتفـع كثيرا أو تنخفض كثيرا ، أو كجعل القلب يفـرط فى دقاتـه أو يتوقف عن الدق تماما ، أو مضاعفـة الضغط الدمـوى أو خفضـه وهكذا . وفى حالة التخشـب باستطـاعـة الشخص الفقدان المطلق للالم مهما كـان مأتـاه ومهمـا كانت كميتـه وكيفيتـه ، أى ان ردود الفعـل (مـن نزيـف دمـاء وجـروح واحتـراق ...) الناتجة عـن الجلد والغرز والثقـب والنـار والشك واللدغ وبلع شظايا البلور والصعق وتعاطى المـواد السامة الخ .. تتعطل تماما .

وتحت ظروف خاصة ، منها حالـة التكوين الاولـى يفـرز الجهاز النفسى الجسد وينميه وينفصـل عنه لفتـرات ويفقده نهائيـا ، ويعوضه دوريا وبصفة مستمـرة . ويسترجعـه اذا تعرض للتمزق ، والحرق الخ ...

والجهاز النفسى يتوزع على الجسد فى كل حالة بشكـل مغاير لبقية الحالات . فمثلا كما سبق وقلنا ، فى حالة اليقظة يتكثف اكثر فى بعض النقاط منها الدماغ .

* الكائنات التى تفقد رؤوسها وأطرافها ، وتعوضها .

ـ أ ـ هنالك نوع من سرطانـات البحر (السلطعـون) له مخلب طويل وآخر ضامر ، فاذا صادف وتعرض المخلـب الطويل لحادث فانه يسقط تلقائيا ، ويبدأ الضامر فى النمـو الى ان يدرك طول وحجم المبتور . وفـى نفس الوقت يعوض السرطان المخلب المبتور بنمو جديـد الـى أن يبلغ حجـم وطول المخلب الضامر .

ـ ب ـ أجرى العـالم البيلوجـي « ابراهـام تريمبـل » سلسلة من التجارب (سنة 1740) على « الهيدرا » وملخصها أنه عندما شطر « الهيدرا » الى نصفين ، استطاع كل نصف أن يكمل نفسـه ، ويتحول الى كائن كامـل ، فشطرها الـى أربعة أجزاء متساوية فنما كل ربـع وتحول الى « هيـدرا » فأخذ منها واحدة وشطرها الى جزئين ثم الـى ثلاثـة والـى أربعة ... فأعطى كل جزء « هيدرا » كاملة ، حتى وصل فـي النهاية الى خمسين جزءا ، اعطت خمسين « هيدرا » .

ـ جـ ـ اذا قبض عـلى خيـار البحـر فانـه يتقيـأ كل اعضائه الداخلية ـ بما في ذلك قناتة الهضمية ـ ثم يعوضها.

ـ د ـ اذا شطرت دودة الارض الى نصفين ، فان النصف الذى به الذيـل ، ينمو ليكون رأسا ، والنصف الآخر ينمـو ليكون ذيـلا .

ـ هـ ـ فصـل العـالـم الايطالـي « سبالانزانـي » (سنة 1768) رأس قوقـع (تحتوى علـى مخ وفـم ولسـان وعينين ..) عن جسدها ، فاسترجعت رأسا جديدة كاملة .

ـ و ـ هنالك دودة تسمى « البلاناريا » قطعت الى مئـة قطعة ، فانتجت كل قطعة دودة كاملة وسليمة .

ـ ز ـ أجرى علماء على « السمندر المائـي » وهو مـن الفقريات ، عمليـات بتر مختلفة (الارجل ، الذيل ، الفـك ، العينين ...) فكـان يعوضهـا ، وحتى ولو تكرر بترها . مع العلم ان السـاق تحتوى على عظام وعضلات وأعصـاب وأوعية دموية وأصابع ... وقـد بيـن « سبالانزانـي » أن سمنـدرا استطاع تكوين 647 عظمة جديدة .

* ان الجهاز النفسي ككل هو آلة حساسة ـ حاسة ، وكل الملكات ، هـي في آخـر الامر ذات وظيفـة واحدة . ثـم ان وسائط الاحساس ، النظر ، السمع ، الشم ، الخ ... لا تقوم بوظائفها ـ المعروفة ـ الا في حالة اليقظة . فمثـلا نستطيع القيام بأي شيء ـ أو بكل شـيء ـ بدون تدخل هذه الحواس كما يحدث ذلك في حالة النيام المغناطيسي .

وقد أثبتت أو أكدت التجـارب ، السوفياتيـة والامريكيـة بالخصـوص ، وجـود اشخـاص ، تحـت ظـروف خـاصـة يستطيعون القراءة وتمييز الالوان ، والاعيـن معصـوبة ، أو بآذانهم أو بمجرد أن تكتب فقرة وتضـع على الـرأس أو على المعصـم أو الردف أو تحت الابط أو القدم .. وهنالـك من يستطيع قراءة خمس ورقـات مكتوبة توضـع فـوق أجـزاء مختلفة من الجسم ، وفي نفس الوقت . وهنالك من يستطيع أن يقرأ ويميـز الاشكال والالـوان داخل علـب مغلقـة .

قلنا ان كل الحواس واحدة وموحدة ، لان الجهاز النفسي ككل « يرى » ككـل في بعض الحالات أي يصبـح آلـة حس كبيرة . لكنه في بعض الحالات الاخرى يقتصر الاحساس على بعض القنوات ، العين ، الاذن .. الخ ..

والجهاز النفسي هو « رؤية » دائمة ، أي أنه يرى وبصفـة مسترسلة كل ما تراه العين في حالة اليقظة مثلا .

والنظر هو عبارة عـن لمس أو تصـادم بالاشياء بطريقـة خاصـة ، فاليد تلمس الشـيء علـى قرب ، والعيـن تلمس الشيء عن بعد ، والجهـاز النفسـي يمس الشـيء على قـرب وبعد ، ويتواصل هذا اللمس ، فيسمـى حينئـذ بالذاكـرة ،

لان الذكرى هـى رؤية متواصلـة ، متقطعـة (النسيـان) الذكريات ليسـت أشياء أخذها الجهاز النفسى مـن الخـارج فارتسمت فيه ، بل هى رؤيـة متواصلة مصدرها وواسطتهـا الجهاز النفسى فحسب . بشروط ذكرناهـا عندمـا تعرضنـا لوصف الحـالات .

فى كل حالة هنالك ذاكرة خاصة من الاحساس والذاكـرة والانفعالات الخ . وتبعا لذلك لا توجد حقائـق مخفـية من الممكن معرفتها ، او معرفة البعض منها (عن طريـق الاديان والعلوم والفلسفة الخ ..) بل هنالك درجات فى كل حالة ، وكل درجة تختص بمعرفة ما . أو تتسبب فـى وجود معرفـة مـــا .

الحس الادراكى ، والحس الانفعالى... الخ ، مرتبطة كما سبق وقلنا بالجهـاز النفسى ، الذى هو مصدرهـا ، وكل تغيـر يحدث فيها ــ أو لها ــ هو نتيجـة لتغير حدث فـى خـواص الجهاز النفسى ، من تكثف وتقلص وتمطط ومد وجزر الخ .. وكل المظاهر الادراكية والانفعالية التى تبرز فى كل حالـة وقد وصفناها فـى مكان آخر ، والتى منها احداث احساسات وادراكات وانفعـالات بدون موضوع محس أو مدرك ... كما يحدث فى حالة النوم وحالة النيام .. أو احداث احساسـات وادراكـات مع ان قنـوات الحس (رؤية ، شم ، سمـع ..) معطلة أو مفقودة . أو امكانية تعطيل الحس والادراك والانفعال مع سلامة القنوات هى نتيجة للقوانين التى بسطناها . مـع العلم أن الحس الانفعالى يتراوح بين الالم الجسدى المطلـق أو الحصر النفسـى التام وبين النشوة المطلقة التى يتعرف عليها الشخص وهو فى درجة الطرح الذهولى .

والذاكرة هي وجه من أوجه الحس ، ولا يوجد شكل واحد من الذاكرة بل اشكال ، أو حقل متسع لكل الحالات . فمن الذاكـرة المميزة لحالة اليقظـة الواعية الـى ذاكـرة النيام المغناطيسـى وقوتهـا وقـدراتها الفائقـة علـى الحفـر فـى الاعماق الى ذاكرة الدرجـة النشوية [مـن حالة التسامى] ومقدرتها على خلق عالم يتدفق نورا وسعادة الخ .. (بمعيـة الانفعال) .

والذكريات درجات ، تبدأ بالنسيان المطلق حتـى للاسم وتنتهى بالذاكرة الشريطية التـى يستعرض فيهـا الشخص كامل حياته فى لحظات أو ثـوان ... الـى احساس الشخص بأن ما يقف عليه هو شيء سبق له أن عاشـه من قبـل مـع الاقتناع التام بذلـك وهو مـا يسمـى « بالرؤية السابقـة »

ان التمييز بين وظيفة الملكات لا يلاحظ الا فى حالةاليقظة الواعية ، فمثـلا فى حالة النـوم ، الحس الادراكـى والحس الانفعالى ، والذاكرة والجسد ، ليس فى الامكان التمييز بينها لانها تصبح ملكة واحدة ذات وظيفة واحدة .

3 ـ تعديل السلوك من وجهة نظر «علـم النفـس الـزمني»

ـ 1 ـ المدارس التي ذكرناهـا ، وفصلنـا طرقها فـي تشكيل السلوك ، كلها تركز على الذهان والعصاب والشذوذ بانواعـه والاضطرابات السلوكية كالانحراف والادمـان ، أي كلها مهتمة بالحـالات التحتية المغلقـة ، أو بدرجات حالـة اليقظة الدنيـا . واهملت بقية الحالات لقصور فـي فهمهـا أو لعدم التمكن مـن معرفة الطـرق الموائمـة لها ، أو لاسبـاب أخـرى .

ثم ان طرق العلاج عند هذه المدارس غير مضمونة وغيـر صالحة لكل الاشخاص .

وقبـل بسط نظريتي في هذا الصدد لا بد من مقدمـة أو تمهيد ، به أربط ، هذه النظرية .

أولا : لكـل حالة من الحالات عدة مستويات ، أو درجـات ـ تتـراوح ـ لنقـل : بين (I ـ 8) ولكـل درجـة بعض الخصوصيات . لكـن بدون فقدان للخصوصيات الجوهريـة للحالة التي هي فـي آخـر الامر وحـدة متركبة مـن مجمـل الدرجات .

فمثـلا تتراوح حالـة اليقظـة ، او تتكـون درجاتها مـن السواء بمفهومه الذي عرفناه في أول فصل مـن الجزء الاول من هذا الكتاب، ومن الوسواس والقهار والخواف والشذوذ الجنسي والانحراف . ثم من العبقرية والتخلف الذهني ...

ولحالة التسامى درجـات منها ، درجـة المرور بخبـرات ادراكيـة ـ بصرية ذات جمال مطـلق ، ودرجـة الاحسـاس بالسعادة المطلقـة والتوحد مع الكـون ، ودرجة الاحسـاس بخروج الروح من الجسم ، ورؤية مدن من النور ..

وهكذا فحالة النيام درجات وحالة الوساطة درجات وحالة النوم درجات الخ .. تبدأ سطحية ثم تذهب نحو العمق (تبدأ من I وتنتهى الى 8) ..

لا بد من تواجد حالتين على الاقل ، حالة جزر وهى النوم ، ووجودها أكيد وضرورى لبقية الحـالات . ثم حالة مد وهـى حالة الفصام أو حالة اليقظة .

أما حالة النوم فهى الحالة الاساسية الاولى وذلك لان كل الكائنات الحية تدخلها ، ولا بد من العودة اليهـا انطلاقا مـن بقية الحالات الاخرى ، اليقظة ، الفصام ، الصـرع ، النيام ، التسامى ، الهرع الخ ...

ثم انه وانطلاقا من حالة النوم بالامكان الدخول تلقائيا أو اصطناعيا الـى بقية الحالات ، اليقظـة ، الصرع ، الروبصة النومية ، التى هى احد أشكال النيام الخ ...

وحالة النوم هى الفاصلة الاساسية ، بالنسبـة للكائنات الحية ، فمنها يتم الصعود الى الحالات الفوقية المفتوحة مثل اليقظة والفصـام والتسامـى .... أو النزول الـى الحـالات التحتية المغلقة مثـل **الصرع** والهرع ... فمثـلا الحيوان لا يستطيع تجاوز النوم الى حالة فوقية أكثر من حالة الفصام ، لكن بالامكان نزوله الى كل الحالات التى هى أدنـى من النوم اى أن حالة النوم هى الفاصلة بين الانسان والحيوان .

ومـن الملاحظ أن الحالة التى عليها الحيـوان اليوم هـى الفصام بكل درجاتـه ، أى بتناوب الفصام والنوم كمـا كان بالنسبة للانسان لفترة قريبة .

قلنا ان الحالة الاساسية الاولية التـى عرفتهـا الكائنات الحية هـى حالـة النوم بكـل درجاتـه ، ثم كانـت الطفـرة بالانتقال الى حالة أخرى وهـى حالة الفصام ، التى ما يـزال الحيوان عاجزا عن تخطيها لبلوغ حالة اليقظة . أى أن الطفرة لم تكن ، كما ذهب لذلـك « لمـارك » « وداروين » ومنظـرو التطـور والتغيـار الاحيـائـى ، طفـرة بيلـوجية بانتقـال الانسان من حالة شبيهة بالقرد ، الى الانسان الحديث ، بـل الطفرة الحقيقية هى انتقال الكائن الحى من حالة النوم الـى حالة الفصام .

وحالة الفصام هى أدنى من حالـة اليقظة ـ وهـذا الحكم ليس قيميا أو اخلاقيـا بل ترتيبيا ـ وهذه الحالة هـى التـى كانت سائدة عند الانسان البدائى بالتناوب مع حالة النوم ، ولم يقع تعويضها بحالة اليقظة هذه الا بداية مـن الحضارات المعروفة وهـى أقرب من النوم من كل الحـالات الاخـرى . وكان التحول أو الطفرة من الفصام الى اليقظة هى المتسببـة فـى بروز العقل وأشكـال الاحسـاس والادراك والانفعـال والشعور ... والنتائج السلوكية والحضارية المنجرة عنها .

فى حالة الفصام وبواسطة انساق معرفية وعملية محددة ، بامكان الشخص أن يتواصل بيلوجيـا ، أى أن يعيش ، وان كان من الصعب اليـوم ، بعد أن عوضـت هذه الحالـة عنـد الغلبة الساحقة من الاشخاص ، بحالة اليقظة ، على الفصامى

ان يتواصل بيلوجيا بالاعتماد على نفسه وبالاكتفاء الذاتي ، جلب الطعام والشراب الخ ..

الفصام ككل الحالات هو نسق ودرجات . وهذا النسق مكون من معطيات ومن انماط ثقافية ، كاللغة المستعملة مثلا فى فترة ما أو فى بلد ما . وكل نسق مرتبط بشخصية الفصامى وبنوع الخبرات المتحصل عليها ، وبنوع معارفه . وبنمط التنظيمات المتداولة الخ .. معنى ذلك ان طبيعة حالة الفصام تتميز بالهلاوس والهذاءات ، فهذه باقية ، لكن أشكالها ومحتواها متغيرة تبعا للشخص وللبيئة التى يعيش فيها وتبعا للحقبة التاريخية والحضارية المتواجد فيها الفصامى .

هذا بالنسبة لكل الحالات .

من المؤكد ان الانسان سيرتقى أو يتطور ، ليبلغ حالة أعلى وأرقى ـ ترتيبيا ـ من حالة اليقظة ، والتى تليها مباشرة وهى حالة التسامى ، بداية من درجاتها السطحية أو الدنيا ، التى لها مساس بالدرجات العليا لحالة اليقظة . لان كل تطور أو طفرة هى تنقل من حالة أكثر انغلاقا الى أقل انغلاقا ، من دنيا الى عليا مباشرة هذا لا يعنى ان الحالة التى تترك تنمحى ، أبدا ، لكنها فقط تبقى فى حالة كمون أكثر من الحالتين المتواترتين باستمرار نوم ـ فصام أو نوم ـ يقظة أو نوم ـ تسامى الخ ...

وهذا التطور الجديد الى حالة التسامى التلقائية ـ لانه الآن بالامكان احداث هذه الحالة اصطناعيا ـ ستكون له خصوصياته . كما كان لحالة اليقظة خصوصياتها ونتائج لهذه الخصوصيات . وكما كان لحالة الفصام عندما كانت

طاغية من خصوصيات لنقل بدائية من حيث السلوك والمظهر وفى بيلوجية الفصامى الشبيهة بالقردة وببقية الحيوانات .

الانسان فى حالة التسامى سيتغير ، سلوكه وانشطته وبيلوجيته وشخصيته الخ .. تبعا للتغير الحادث على مستوى الملكات ، الحس الانفعالى ، الحس الادراكى الذاكرة والجسد .

وعندها ستعامل حالة اليقظة كحالة مرضية وشاذة ، كما تعامل هى اليوم حالة الفصام .

كل طفرة ، هى طفرة على مستوى كل ملكات الجهاز النفسى ، لا فقط لا على مستوى الجسد . (أو ما يسمى بالطفرة البيلوجية) وكل طفرة هى طفرة نفسية ، وبعدها تتبعها أو تتسبب فى الطفرة البيلوجية ، وهذا عكس ما تذهب اليه الانتربلوجيا والبيلوجيا والعلم بصفة عامة اليوم .

ونؤكد أن الجهاز النفسى هو « قطعة » واحدة تتكون من مجموعة من الدرجات (ثمانية) هى الحالات وكل حالة تتكون من (ثمانية) درجات ـ افتراضا ـ وكل درجة تتكون من أربع ملكات وهى الحس الانفعالى والحس الادراكى والذاكرة والجسد وكل حالة هى تنوع فى نشاط الملكات الاربع المذكورة ، نتيجة لتغير يحدث فى خاصيات الجهاز النفسى وبالاخص خاصية المد والجزر وخاصية التكثف والتمطط لكن بدون فقدان للطبيعة الجوهرية للجهاز النفسى .

وكل ملكة من ملكات الجهاز النفسى تتكون بدورها من درجات لنفترض انها ثمانية تتراوح بين السطحية والعمق ،

وبيـن اللين والشدة .. مثلا بين التبلد والخوف والخـواف وبين فقدان الذاكرة والنسيـان والذاكرة الشريطية . هـذا بالنسبة لحالة اليقظة وحدها ، وهذا بالنسبة لبقيـة الحالات اى اذا افترضنا انه بالنسبة لحالة اليقظة هنالـك 8 درجـات من ملكة الذاكرة ، فانه بالاستطاعة القول : إن ملكة الذاكـرة ـ بالنسبة للحالات التسع ـ لها 82 درجة . وهـذا بالنسبة لبقية الملكات الاخرى .

ولنرجع لحالة اليقظة ، ولنفترض أن الدرجة الرابعة منها هى درجة الاتزان بشرط أن يكون هنالك توازن بين الملكات الاربع وتناسق بينها . ويحدث ما يسمي بالاضطراب بأنواعـه اذا كانت ملكة أو أكثر فى درجة أدنى أو أعلـى من الوسطى وهذا ما يجعل نفس الشخص متزن الادراك ، لكـن مضطرب الانفعال ، او موسوسـا لكنـه ذكيا ، أو يخـاف من الاماكـن المغلقة لكنه قوى الذاكرة وهكذا .. معنى ذلك ان لكل درجة نتائج لا بد منها ، الدرجة الوسطى هى درجة الاتزان ومـا بينها من درجات تتدرج نحو السلب تحتيا ، ونحو الايجـاب فوقيا ـ عادة ـ وهـذا بالنسبة لكل الاحاسيس والمشاعـر والانفعـالات والادراكات الخ .. هذا نوع مـن المرض علـى مستوى حالة واحدة .

وهنالك حالات بكاملها ـ تعتبرها حالة اليقظة ـ مرضيـة مثل الصرع والهرع والفصام ، واضطرابات النوم ، وكلهـا خاصيات لحالات تحتية مغلقـــة .

والآن كيفية العلاج أو تشكيل السلوك من وجهة نظـرى :

اولا : أنـا لا أقـول بالمـرض والسـوء ، أنـا أقـول بخصوصيات حالات ، وبخصوصيات درجات حالات كلها ذات طبيعة واحدة ومصدر واحد هو الجهاز النفسى ، فقط .

ثانيا : أنا لا أقول بتعديل سلوك مرضي بآخر سوي ، أي أنا لا أقول بالعلاج . بل أقول بتغيير من درجة حالة الى درجة أخرى وبالتغيير من حالة لاخرى .

ثالثا : أنا لا أقول بأمراض قابلة للعلاج وأخرى غير قابلة أنا اقول : إن كل الحالات ودرجاتها وعند كل الاشخاص قابلة للتغيير بالرجوع لقوانين محددة كنا بسطناها فى مكان آخر مع العلم أن كل الحالات التحتية والمغلقة هى التى تسمى بالمرضية وكل الحالات الفوقية والمفتوحة هى التى تسمى بالحالات السوية والمتسامية .

رابعا : التنقل من درجات دنيا الى درجات عليا من نفس الحالة ، ومواءمة درجات الملكات مع بعضها البعض ، تتسبب فى اتزان الحس الادراكى والانفعالى والجسدى والذاكرة ، « ما يسمى بالسواء » .

خامسا : التنقل من حالة تحتية مغلقة الى حالة فوقية مفتوحة ، صرع يقظة ، هرع يقظة الخ .. وهو مايحدث تلقائيا أو اصطناعيا ، يتسبب فيما يسمى بالسواء . وهذا غير ممكن لحالة الفصام ، لانها كما سبق ان ذكرنا ، حالة اساسية مثلها مثل اليقظة أى بالامكان تقديم نفس المعادلة صرع فصام ، هرع فصام وهو ما يحدث تلقائيا . وبالتالى لا بد من الصعود بالشخص الى حالة اكثر تفتحا ، غير حالة اليقظة .

أما طرق التنقل من حالة لاخرى ، فان الطب القديم والحديث ، والعلوم الخفية وعلم النفس بكل أشكاله ومدارسه وغيرها ، قد فصلتها تفصيلا لا مزيد عليه .

فهـرسـت الاعـلام



ـ أ ـ

ابن الجوزي : 47 .
ابن طفيل : 47 .
ابن مسكويه : 43 .
ابن النفيس : 44 .
ابن سينا : 44 ـ 47 .
الجرجاني : 37 ـ 41 .
اخوان الصفا : 42 .
آدلر : 29 ـ 58 ـ 88 ـ 93 ـ 100 .
آرثر بانوف : 96 .
البرت إليس : 59 ـ 71 .
انريك بيرن : 96 .
إسحاق بن عمران : 47 .
أوتو رانك : 94 .
أوليفر لودج : 151 .
إيفان أم. سيشنوف : 112 .

ـ ب ـ

باركس : 149 .
بافلوف : 113 ـ 114 ـ 116 ـ 149 .
باندورا : 126 .
برجسن : 27 ـ 29 ـ 149 .
بيار جنات : 33 .
بيركس : 64 .
بيرون : 149 .
بينات : 149 .

ـ ت ـ

تورنديك : 149 .
توماس براون : 109 .

ـ ج ـ

جاثري : 120 .
جانوف : 59 .
جورج كيلي : 80 ـ 81 ـ 82.
جوزيف كوفاخ : 34 ـ 35 .
جوزيف فولبي : 127 .
ج. ل. فلوجل : 109 .
جورج كوفاخ : 34 ـ 35 .
جون ستيوارت ميل : 111 .
جون سميترا : 24 .
جون واطسن : 117 ـ 118 .

جيمس ميل : 110 .

ـ د ـ

دافيد إنغفار : 30 .
دوغلاس هوم : 151 .
دولارد : 129 ـ 130 .

ـ ر ـ

رايخ : 88 .
رانك : 88 .
روتر : 126 .
روجرز : 59 ـ 73 ـ 74 ـ 77.
رولي ماي : 71 ـ 72 .
روسل والاس : 151 .
ريبو : 33 ـ 149 .

ـ ك ـ

كاتيل : 149 .
كاريمان : 59 .
كرداك : 151 .
كلارك هل : 59 ـ 119 ـ 120.
كلاسر : 59 .
كولب : 149 .
كريستان فون اهرتلز : 54 .
كورفيتنش : 70 .
كولبيه : 87 .
كوفكا : 56 .
كيرت ليفين : 57 ـ 72 .

ـ ل ـ

لانج : 33 .
ل. س. واطسون : 134 ـ 143 .

ـ م ـ

مارشال : 120 .
ماكس فرتيمر : 55 .
المجريطي : 42 .
مورينو : 149 .
موللر : 31 .
ميلر : 129 ـ 132 ـ 133 .
مينوكوفسكي : 76 .
مين دي بيران : 28 .

ـ غ ـ

الغزالي : 39 ـ 41 ـ 46 .
غود سورف : 69 .

ـ ف ـ

فاندت : 149 .
فرنكل : 59 .
فرنزي : 88 .

فروم : 88 ــ 95 .
فلاديمير بختريف : 117 .
فسنجر : 79 .
فشنار : 149 .
فون كشتنبر : 23 .
فيز : 59 .
فيليبس : 59 .

ــ ق ــ

ڤالتون : 149 .

ــ س ــ

سارتر : 68 .
سبنسر : 112 .
سكينر : 103 ــ 121 ــ 123 ــ 124 .
سيمنوف : 149 .
سيمون : 149 .

ــ ش ــ

شارل ريشي : 151 .
شمس الدين بن قيم الجوزيه : 43 ــ 46 .

ــ هـ ــ

هاري سوليفان : 96 .
هربرت : 86 .
هكسلي : 28 .
همغري ازموند : 24 .
هورني : 88 ــ 94 .
هنفري كليتس : 32 .
هوسرل : 28
هيدجر : 67 .
هيلمو هلتز : 31 .

ــ و ــ

وات : 87 .
ولفجانج كوهلر : 56 .
وليام جيمس : 27 ــ 33 ــ 149 .
وليام كروكس : 151 .

ــ ي ــ

يونج : 58 ــ 88 ــ 92 ــ 99 .
يوسابيا بلادينو : 151 .

الفهـــرس



الصفحة	العنــوان
5	**شخصية الانسان العـربى** ....

الفصل الأول : مقومات الشخصية وحالاتها من أوجه نظر مختلفة

19	**① مكيفات الشخصية البيلوجية** ....
19	ـ التفسير البيلوجى لطبيعة الشخصية ....
	(دور الدماغ ـ دور الهرمونات الغدية والعصبية)
27	**② وجهات نظر فى الملكات النفسية** ....
27	ـ وجهات نظر فى الشعور والذاكرة ....
31	ـ وجهات نظر فى الاحساس والهيجان والعواطف ..
37	**③ طبيعة الروح من وجهة النظر الاسلامية** ....
37	ـ الروح فى القرآن والسنة ....
	(معانيها ـ خصائصها بالرجوع الى القرآن والسنة)
39	ـ خواص الروح عند المفكرين المسلمين ....
	(الامام الغـزالى ـ الجرجـانى ـ اخـوان الصفـا ـ المجريطى ـ ابن مسكويه ـ الامام شمس الدين ـ ابن قيم الجوزيه)
44	ـ الروح عند الاطباء المسلمين ....
	(ابن النفيس ـ ابن سينا ـ اسحاق بن عمران)

الفصل الثانى : نظريات الفلسفة فى الشخصية

① **الشخصية وتعديل السلوك من منظور «الجشطلت»** 51
- قضايا أساسية 51
(الجشطلت ـ الاستبصار)
- المنظرون الرئيسيون 54
(ارنست ماخ ـ كريسيان فون اهرنفلز ـ ماكس فرتيمر ـ ولفجانج كوهلر ـ كوفكا ـ كيرت ليفين)
- **تعديل السلوك من منظور « الجشطلت »** 57
- روح العلاج النفسى الجمعى 59

② **الشخصية وتعديل السلوك من منظور الظواهرية (الفيمنلوجيا)** 66
- قضايا عامة 66
- المنظرون الاساسيون 67
(هيدجر ـ سارتر ـ غودسورف ـ كورفيتش ـ البورت ـ رولي ماي ـ ليفين ـ كارل روجرز)
- تعديل السلوك من وجهة نظر الظاهراتية 75
(عموميات ـ منكوفسكى ـ روجرز ـ أوسجود ـ فستنجر ـ جورج كيلي)

الفصل الثالث : نظريات علم النفس فى الشخصية

① **الشخصية وتعديل السلوك من منظور التحليل النفسى** 85

ـ قضايا عامة 85

ـ **المنظرون الأساسيون** 86

(هربرتا ـ كولبيه ـ فرويد ـ كارل يونغ ـ أدلر ـ كارين هورنى ـ تيدرايك أوتورانك ـ ايريخ فروم ـ هارى سوليفان ـ إيريك بيرن ـ ارثر يانوف)

ـ تعديل السلوك من وجهة نظر التحليل النفسى .. 97

(فرويد ـ يونغ والعلاج النفسى التحليلى)

ـ **قضايا عامة** 101

ـ أساليب لتعديل الانفعال 107

ـ أساليب لتعديل السلوك 107

ـ أساليب لتعديل طرق التفكير 108

ـ أساليب لتعديل طرق التفاعل مع الآخرين 108

ـ **المنظرون الأساسيون** 109

(توماس براون ـ مارشال ـ جيمس ميل ـ جون ستيوارت ميل ـ سبنسر ـ ايفان ام سيشينوف ـ بافلوف ـ فلادمير يخترييف ـ جون واطسن ـ جاثرى ـ باندوزا ولتر روتر)

ـ **تعديل السلوك من وجهة نظر السلوكية** 127

(طريقة جوزيف فولبى ـ طريقة دولارد وميللر)

ـ **ل. س. واطسون وتعديل السلوك** 134

ـ أهمية تعديل السلوك 134

- العلاج النفسى التربـوى لفصام الاطفال والتخلف العقلى واضطرابات السلوك 136
- تشكيل السلوك 138
- التدعيم 139
- معوقات السلوك 140
- أساليب استبعاد السلوك غير المرغوب فيه 141
- تحكم المنبهات 142

ملحق : الشخصيـة وتعديـل السلـوك من منظور « الكرنوبسكلوجيا »

① **قضايا أساسية** 147
- بالنسبة لعلم النفس السوي 149
- بالنسبة لعلم النفس المرضي 150
- بالنسبة لما بعد علم النفس « الباراسكلوجيا » 151
② **النظريات الأساسية** 158
③ **تعديل السلوك من وجهة نظر علم النفس الزمنى ..** 171
فهرست الأعلام 178
فهرس الجزء الثانى من كتاب الشخصية 181

● **الشــاذلـي الســاكــر**

◆ صــدر لــه :

① **الكرنوبسكلوجيا** : مدخل الى علم جديد (1977) بالفرنسية.

② **الكرنوبسكلوجيا** : علم الطاقة الحيــوية والجهــاز النفسي (1979) بالفرنسية .

③ **الكرنوبسكلوجيا** : (علم النفس الزمنى 1982) .

④ **الابستملوجيا** : (كتاب البكلوريا 1984) .

⑤ **الشخصية** : (كتاب البكلوريا فى جزأين 1985).

◆ له تحت الطبــع :

الادراك الحســي (محــلى برســوم توضيحيــة) .

الثمــن : 2٫280 د٫ ت